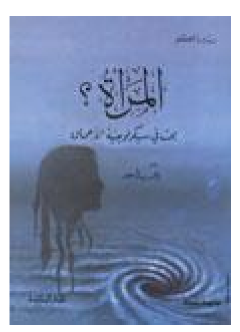


المرأة ؟
بحث في سيكولوجيّة الأعماق

تأليف :**بيير داكو**

ترجمة :**وجيه أسعد**

الناشر: مؤسسة الرسالة

الطبعة الثالثة ١٩٩١ م

عدد الصفحات:٤٥٦ من القطع الكبير

العنوان الأصلي للكتابPIERRE DACO :

Comprendre
LES FEMMES
Et leurs psychologies prokondes
MARABOUT

المرأة تتبع زوجها.

والزوج يبحث عن الخلود

المدخل

طوال سنوات من الممارسة السيكولوجية، تعلمت، من خلال رسائل نساء من جميع الأعمار، أن السعادة المستقرة والوجود العميق هما وطنا المرأة.

ونحن نعيش عصراً حلّت فيه سيكولوجيا انتحارية محل الاستقرار الداخلي، وتخلّت الماهية عن مكانها إلى جميع المظاهر السطحية.

ولهذا السبب، فإن ظمأ النساء الحاليات إلى الاطمئنان ثانية ظمأ واسع الأرجاء.

وتبحث النساء، سواء في الثامنة عشرة من عمرهن أو في الرابعة والعرين وسواء يعملن في الخارج أم لا، عن جواب لواقعة أنهن كن مخدوعات في جميع العصور. ولا زلن، في أيامنا هذه، مسحوقات أكثر من أي وقت مضى. وهن يحسسن بذلك، على الرغم من الهدايا المذهبة التي تُقدَّم إليهن.

لقد شرعن، إذ يترجّحن من اليسار إلى اليمين، وإذ يشعرهن الناس من كل مكان بالإثم، في حركة نواسية خطيرة. فعمّ يبحثن؟ إنهن يبحثن عن الخروج من اللاأمن الوجداني. ولكن من يخرجهن منه؟ أولئك الذي سيقولون لهن لماذا يُنبذن، ويُهملن، ويُقهرن، ويُستعبدن، في أيامنا هذه كما بالأمس.

ويخدعهن الرجل، على غير علم منه لأنه يعاني حصراً أبدياً تدفع المرأة تكاليفه. ولكن النساء يخدعن أنفسهن أيضاً، إذ يجعلن من أنفسهن ضالعات لا إراديات في هذا الحصر المذكر، وإذ يحوّلن استطاعة الأنوثة غالباً إلى سحر هزيل، خال من الإبداعية.

فعلى النساء أن يعلمن أنهن أقل مما يعتقدن بكثير حرماناً من الميزات. بل إنهن لسن، بصورة أساسية، محرومات على الإطلاق. وعليهن كذلك أن يدركن أن غالبية الانتفاضات الراهنة تتكشّف أنها تنذر بالخطر، وأن "المرأة" توشك أن تفقد معناها.

هل ثمة حل لتيهان المرأة الأبدي؟ لا أعلم. فالهيجانات الراهنة لا تأخذ بالحسبان غير الصعوبات السطحية، مهما كانت ذات شأن. ولكن جذور الخصومة بين الجنسين، جذورها ذاتها، لم تكن قد مُسّت قط.

ولهذا السبب، صممّت على أن أبحث معكم ماهية المرأة، إذ أن مأساتها أنها كفّت عن أن تكون خادمة الحياة، لكي تصبح قنّاً عاجزاً.

تشجّعن ، أيتها المدانات . فليست الحرية سوى لحظة غير مناسبة على الإنسان أن يقضيها.
كثيرات من النساء يعرفن الأمور التي ستُقال في هذا الكتاب. بيد أنهن لا يعلمن أنهن يعرفن ذلك.
وكل أولئك الذين يتكلمون على الحب بعبارات الميكانيك، ولكنهم يناقشون الميكانيك بعبارات الحب!
أرى نفسي، على الغالب، ملزماً بأن أتكلم على المرأة بدءاً من الرجل.
لا تعتقدوا أنني أريد أن أستنبط نسخة عن الرجل، مثلما يفعل بعضهم غالباً.
إنني أحاول كذلك أن أبيّن ما يمكن أن تكون المرأة في مقابل ما كفّ الرجل عن أن يكون.
استخدم الرجل عقله استخداماً تصاعدياً، فتناقص دويه.
أجر الرجل والمرأة متساو، هذا حسن! ولكن هل اعتبار المرأة واعتبار الرجل متساويان؟
نساء أيامنا هذه، أو النساء منذ بعض الزمن، هن الاستطاعة الخفية التي تقود العالم، سواء كنّ عبدات بيوت الحريم أو الخدور، وومسات أو عشيقات، أم زوجات أو أمهات أسر. فليس نظام الأبوة، ولو كان هادراً، غير مزاح لطيف بالقياس إلى القوة الغامضة التي يتصف بها النوع الأنثوي.

الفصل الأول
خدعة الحرية

السيدة تموت ، السيدة ميتة!

بوسويه

لم يسبق للمرأة أن كانت مسجونة، ومنهارة، ومستعمرة، وخامدة مثلما هي عليه الآن.
ويمثل عصرنا أكثر العمليات دناءة في تاريخ المرأة.
فالمظاهر خداعة، ذلك أن الفخ مموّه على نحو يثير الأعجاب.

والجنسان في العمل يُبديان وجهاً خارجياً باهتاً على نحو متماثل .ومع ذلك، لم يطرأ أي تغير على صراعهما، بل ربما أصبح أكثر ضراوة.

والورود تحفّ بمعتقل العمل في الخارج. فالنساء، من جهة، ينلن حقوقهن العادلة، الاجتماعية والقانونية، والعمل، من جهة أخرى، ممنوح لهن في العالم إلى حد الإشباع .ولكن، في أي عالم؟ في عالم الرجال بالطبع.

والنجاح الكبير في هذا السياق من الخداع أن المرأة تظن غالباً أن هذه الحالة الجديدة حرية حديثة العهد. ويمكن للرجال الذين يرغبون في استعباد المرأة أن يتنفسوا الصعداء. لقد تم الأمر ووقعت في الفخ. إنها على وشك أن تفقد شخصيتها وأصالتها الخاصيتين. ومفعول روعتها وقدرتها الداخليتين تم إبطاله.

أولاً – العالم التكنولوجي المجرد من الإنسانية ومخططه المعادي للمرأة

كل شيء يحدث كما لو أن قادة العالم التكنولوجي المجرد من الإنسانية تواطؤوا:

-فلنحذر! لقد بلغ السيل الزبى. إن المرأة تطالب بحقوقها وتحصل عليها. وبدأت تفهم أعمالنا على نحو واضح. فهي تمثل قوة كبيرة كامنة ومستترة، وبالتالي تنذر بالخطر. وعلينا أن نمنع المرأة، بأي ثمن، من أن تنتقل إلى الفعل، بوصفها امرأة. نعم، بوصفها امرأة.

-ثم إن المرأة تتصف بأنها ثاقبة الفكر .ومن حسن الحظ أنها تجهل إلى أي حد. إنها تحب ما هو أصيل، ومشخّص، وطبيعي، وإنساني، ومستقر. ولكن عالمنا ، والحالة هذه، غير أصيل، ومجرد

ومصطنع، وغير إنساني وغير مستقر. وستحاول المرأة، يوماً من الأيام، أن تهدم ما بنيناه. بل وربما تدخلت في إيقاف حروبنا !

فرسموا عندئذ خطة عامة:
-علينا أن نمنع الأنوثة من أن تستعيد نشاطها. وفيما يتعلق بالزمن الحالي، فإنها تظل مقيمة في تخطيطات الضعف القديمة. فليست إذن موضع خشية. ولكن هذا لن يدوم طويلاً: ذلك أن ثمة ما يحض المرأة على أن تعي ما هي عليه، وثمة ما يدفعها إلى أن تتدخل، وإلى أن تصلح عالمنا. فلا بد من التعجيل، ولا بد من تقويض الاستطاعة الداخلية للمرأة. ولا بد من حذف الأنوثة من الخارطة.

الأمر الأول من الخطة المعادية للمرأة:

-أن ينجذب العدد الأكبر من النساء إلى عالم العمل.
-ولتحقيق ذلك، ينبغي تملقهن، واتخامهن من الناحية القانونية والاجتماعية. دع القيود، ولكن احتفظ بالرقابة الكلية.
-امنحهن الانطباع بأنهن متحررات من وصاية الذكر، تُعقْ في الوقت نفسه حريتهن الداخلية.
-اجذبهن إلى الأعمال التي ترغمهنّ على التخلي عن الأنوثة لديهنّ.

الأمر الثاني من الخطة المعادية للمرأة:

-استأجر النساء في أعمال، حتى ذات الأهمية الكبيرة منها، ولكن في أعمال لن يكون للأنوثة أي علاقة بها.
-وستضمر الأنوثة بوصفها غير مستعملة، وستفنى. وسيتوقف الخطر.

الأمر الثالث من الخطة المعادية للمرأة:

-يمكن للمرأة أن تصبح شاهداً صاحياً، وبالتالي يُخشى جانبه. فلا بد من استبعاد هذا الشاهد. ومن أجل ذلك، لنجعل منه شريكاً في الجرم، وعندئذ تنطلي الخديعة. وهي، بوصفها شريكاً في الجرم، لن تجرؤ على أن تحشر أنفها في أعمالنا بصفتها شاهد إثبات.

الأمر الرابع من الخطة المعادية للمرأة:

ولكي نجعل هذه العبودية كاملة، سنجبر ملايين النساء على أن يفقدن شخصيتهن . ومن أجل هذا، نستخدم الأزياء، والكيمياء والإعلان والملايين. ونصنع فتيات هن من الاتصاف بالجمود بحيث يُستبعد كل خطر.

ثانياً - النتائج بالنسبة إلى المرأة

– ١محصورات في عالم الذكر...

كان بوسع المرء أن يتصور أن النساء، وقد فزن بالحرية الخارجية، سيستفدن منها ليباشرن "صعوداً" داخلياً. وبعبارة أخرى، إنهن لن يستسلمن.
إن الفخ، على العكس، قام بعمله على نحو ممتاز. لقد كانت الفرصة، مع ذلك، فرصة مثالية. فالسمكة كانت جائعة. وكان يكفي إلقاء الصنارة في الماء حتى تنخدع بها.

وهذا هو السبب في أن المرأة تشارك في سير العالم مشاركة متزايدة. ولكن في أي عالم؟ لم يسبق لعالمنا خلال القرون أن كان يمثل ما هو عليه الآن من الجمود، والضجر، وفقدان الحياة، والحرب، والعنف ، والعدوان، والنزعة الفردية، والترويض، والتفجر، والتسامت، والتماثل، والخراب. ولم يسبق له أن كان إلى هذا الحد من المبالغة في الاتصاف بصفات الذكورة.

يقال أن وابلاً من الهرمونات المذكرة هطلت، في حين أن الهرمونات الأنثوية بقيت في الغيوم.

" -٢المنافسة" النسائية

وتجد المرأة نفسها تسلك رَدْباً (الدرب المسدود (هو الردب الذي يختنق فيه الرجال، لأن منافستها مبنيّة على تضخم في المنطق وتضخم في العقل. فما هما هذان "الشيئان"، والحالة هذه، إن لم يكونا مجرد تابعين للحياة السيكولوجية؟

الذكاء الحقيقي موجود لدى المرأة والرجل على السواء. والجنسان، في هذا النوع من الذكاء،

يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر على نحو كامل. ومن سوء حظ المرأة أنها على وشك أن تفقد هذا النموذج من الذكاء.
أما فيما يخص الرجال، فقد فقدوه منذ زمن بعيد.
ولكي يتسنى للمرأة أن تضارع الرجل في هذه المنافسة الحديثة، لا بد لها من أن تفقد إنسانيتها.
ولكن هذا الأمر متعذر عليها، شاءت ذلك أم أبت.

وهنا إنما تكمن مأساتها، وعدم شعورها بالأمن، وتشوّهها، وحصرها. فهل تشارك النساء في هذه المنافسة؟ نعم إن النساء يشاركن، أما الأنوثة فلا. إنهن يشاركن في هذه المنافسة إلى درجة أن الناس جعلوا من الخصائص التي تتصف، لدى المرأة، بأنها أرفع شأناً، كقابلية التأثر والجاهزية ونفاذ البصيرة والقوة الداخلية، خصاص تحط من القدر. بل إن رأفتها الطبيعية، الرأفة التي أحالتها محدلة التكنولوجيا إلى مسحوق، موضع تحقير. أما العاطفة الواسعة، عاطفة الأمومة، فقد قالت لي عنها إحدى المناضلات في سبيل حقوق المرأة" :**ولكن هيا! إنها جيدة بالنسبة إلى النساء الساذجات!"**

وينجم عن ذلك أن المرأة تجد نفسها، برفقة الرجل، في قعر واحد من حفرة وضيعة .**فلم يسبق لها أن كانت بمثل ما هي عليه الآن من العبودية في عالم ألصقت نفسها به باسم ضرب من بديل للحرية التي يبدو وميضها.**

وذلك على وجه الضبط كما لو أن قادة العالم التكنولوجي كانوا يقولون لأنفسهم:
-هل استعبدنا النساء دائماً؟ إننا، في الحالة الراهنة، نمسكهن فقط. إنهن يعملن لدينا ومن أجلنا، ويهدمن أنفسهن بواسطتنا، ويصبحن أنصاف ذكور. أمر ممتاز! فنحن نبقى ذكوراً على نحو كامل، ويصبحن أنصاف ذكور.

ذلك أن العمل "على شاكلة الذكر" ليس إلا ضرباً من ظاهر الحرية. وليس هذا مخرجاً، وإنما هو باب جهنم.

-٣حال المرأة أسوأ مما كانت عليه من قبل

كم كانتا كبيرتين فيما مضى سلطة المرأة واستطاعتها عندما كانت تمارس تأثيراً خارج الحياة

العامة! كان تدخّلها يعدّل أخطاء الذكور. فكانت المرأة، وقد بقيت امرأة بصورة عميقة، تصغي وتقدّر وتلاحظ وتنتظر، ثم تتعرّض للأمر وتتدخل، وتصوغ قرار الرجل.
وتتعدّل كفتا الميزان.

ذلك أن جليسة الملك فيما مضى، أو زوجته أو عشيقته كنّ بآلاف المرات، أكثر فعالية، بصورة خفية، من النساء الشبيهات بالنمل في أيامنا هذه.
فالمرأة التي كانت ماهرة في حفظ نفاذ البصيرة المعصوم الذي يتصف به نوعها، كانت تحكم الممالك وبيوت الزوجية.
ولكن هذه القدرة التي لا قرار لها، قدرة المرأة، تلاشت أو تكاد تتلاشى. واختفت روعة المرأة التي كانت تتمتع بها فيما مضى.

عصرنا عصر النساء الأرضات (الأرضة حشرة تسمى النمل الأبيض تعيش على صورة المجتمع وتكثر في المناطق الحارة.) وعصر النمل العاملات .
أمن الممكن أن تفوز النساء، يوماً من الأيام، بحريتهن الداخلية، وبتحقيق ذواتهن، وبسعادتهن؟ ولكن، لن يتسنى لهن أن يمنحن روحاً للأرض مجدداً ما دمن لم يستعدن روحهن، وقيمتهن الأساسية في الوقت نفسه.

ثالثاً – العالم التكنولوجي المجرد من الإنسانية مهتم

١-مسرور ولكنه قلق

يقول ممثل العالم التكنولوجي المجرد من الإنسانية:

-النتائج تتجاوز التوقعات! ألم نكن نريد استعمار المرأة استعماراً خفياً، ونحن نظهر في الوقت نفسه بمظهر الحواريين الصالحين المحررين؟ لقد تم ذلك.
فالقسم الأكبر من النساء تم تجميده. إنهن يعملن كرجل واحد. إنهن مبتهجات بكونهن مستقلات. فقد وجدن حرية الطاعة للآلات التي تراقب دخولهن إلى المصانع وخروجهن منها، وللأوقات المضبوطة ، وللرؤساء ومساعديهم، وللمراقبين الآخرين. إن مجرد كونهن مسجونات يمنحهن

وهم أنهن موجودات. إنهن سيعملن من أجلنا. نهن أيد عاملة ممتازة، رخيصة الأجور، إنهن لسن نساء ولا رجالاً.

-٢المرأة شاهد يخشى جانبه

من المحتمل أن يصبح هؤلاء النسوة هن اللواتي يتهمننا. إنهن سيوقدن نار التمرد ضد ضروب الظلم، وضد أعمالنا التي لا تصدر عن أي عقل إنساني، وضد حروبنا وبحوثنا الطائشة .إنهن يرغبن في كوكب تسكنه موجودات إنسانية، تسكن وتتغذى بصورة إنسانية.

-٣المرأة تصبح شريكاً في الجرم

أتريد بعض النساء أ، يكنّ مصححات الخطأ؟ أيرغبن في أن يكبحن سيرنا إلى الأمام؟ أيهيئن أنفسهن ليفضحننا أمام العالم؟ حسن، فلنجنّدهن، لكي نضفي الحياد عليهن.ألسنا نبني حاضرات لا روح فيها؟ فلنلزم النساء أن يشاركن في البناء .ألسنا نصنع الصواريخ والأسلحة؟ لنجعل هؤلاء النسوة يقمن بدور هام في الفيزياء والكيمياء والالكترونيات .
وهكذا سيصبح شاهدنا شريكنا في الجرم: وسيكون ذلك أجمل مغامراتنا.

-٤إشعار المرأة بأنها آثمة على كل الجبهات:

أشعر الناس المرأة بالإثم

أكدوا لها حين كانت تعمل في بيتها أنها آثمة لكونها لم تعمل في الخارج، وأنها ولو كانت تعمل في الخارج آثمة لكونها لم تهتم بمسكنها. وجعلوها آثمة لأن لها أطفالاً وآثمة لأن ليس لها أطفال، وآثمة إن عملت وآثمة إن لم تعمل، آثمة إن ضجرت وآثمة إن لم تضجر، آثمة لكونها جميلة وآثمة لكونها غير جميلة، آثمة لأنها فتية وآثمة لأنها غير فتية. وبالاختصار، كل هذا ضروب من النهش المدروس بعناية، ينكأ باستمرار جرح المرأة القديم: أي شعورها بالدونية، القديم العهد، ومنعها من الاهتمام بنفسها. وبعبارة أخرى، **استمرّ الناس ينكرون حقها في أن يكون لها حقوق .**
وكانوا، في الوقت نفسه، قد أبقوا لها مظهراً من الاختيار: إما أن تعمل مع الرجال ومن أجلهم،

وإما أن تصبح منزوية يشار إليها بالبنان.

فلنضع أنفسنا مكانهن. إنهن يرين أنفسهن ملزمات بأن يكنّ نساء ورجالاً في الوقت ذاته، ولكن مع توقفهن عن أن يكنّ نساء، وعجزهن عن أن يصبحن رجالاً .إنهن يصطدمن باللامعقول والمحال، فيصرفن طاقتهن دون حساب، ويسعين إلى التخلص من الشعور بالإثم، إذ يوجهن اهتمامهن إلى المطبخ والأولاد، وإلى مهنتهن ومديرهن، وإلى أزواجهن، وإلى نجاحهن وحبهن، ومن الواضح أن هذا كله يتم في وقت واحد.

وكان هذا الشعور بالإثم قد تعزز بفعل بعض فئات من النساء "المتحزبات لمطالب المرأ٬". ذلك أ،هن نقلن حالاتهن الشخصية إلى المستوى العام. فقد أصبحن ضد الأم، وضد المرأة، وضد الرجل، وضد كل شيء، وضد أنفسهن وآبائهن وأزواجهن.

والمتحزبات لمطالب المرأة هؤلاء لا يدافعن عن المرأة: فذلك إنما هو أقل همومهن شأناً. إنهن لا يسعين إلى تجديد الأنوثة، بل إلى هدمها، لأنهن مفعمات بالضغينة. وهن يحاولن إحراق الغابة من أجل قطع عشر شجرات.

رابعاً – الحل

ولكن ثمة أخيراً عدد من النساء النخبة اللواتي يتصفن بالمهارة في إيجاد إبداعية سعيدة، في منازلهن أو في الخارج.

إنني أعرف اختصاصيات في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وأعرف نساء مديرات. إنهن لا يشعرن بالراحة. لقد شكون لي حصرهن من عملهن في عالم انتحاري ومن أجل هذا العالم الذي لا يعرف أحد إلى أين يمضي. إنهن يعملن دون ميل ولا سرور، ويأسفن لعجزهن عن فعل أي شيء ضد هذه الضروب من الشذوذ، لأنهن ينهكن أنفسهن لصالح هذه الضروب من الشذوذ ذاتها فهن أيضاً نساء واقعات في الفخ.

جان وماري، مهندستان معماريتان، رفضتا ، ذات يوم، أن تثابرا على المشاركة في هدم مواقع قرره بعض الممولين. واستقالتا، متبرئتين من هذه اللعبة اللاإنسانية، عاجزتين عن فعل أي شيء ضد ما هو غير قابل للعكس.

ولكن ما الوضع لو أنهما لا تملكان الضروري من الدراهم لكي يهجروا كل شيء؟ لو أنهما كانتا ملزمتين بانتظار أن "يتفضل" الزُبن الخاصون باستدعاء "امرأة مهندسة معمارية"؟

هنا يكمن الشذوذ: يشعر كثير من النساء أن عملاً خارجياً يمكن ، مهما كان وضيعاً ولسن بحاجة إليه في الغالب، أن يسوّغ وجودهن. بل ثمة ما هو أكثر أيضاً : ثمة عدد من النساء، اللواتي خضعن لقانون العمل الخارجي، يحتقرن اللواتي يؤثرن البقاء في بيوتهن.

غير أن النساء اللواتي يبحثن عن هويتهن من خلال مهنة من المهن لن يجدنها أبداً. ذلك أن الجنسين، شئنا أم أبينا، موجودان دائماً أحدهما بواسطة الآخر .ولن تحصل المرأة على وضعها الأساسي إلا بواسطة الرجل ومن أجل الرجل، والمقابل صحيح كل الصحة. فالمرأة التي لا تحب وليست محبوبة تظل "خامدة"، وعابرة ، مهما كانت فاعليتها. وتبقى لا متمايزة وغير بارزة، ميتة إذا صح التعبير.

ينبغي على النساء الصاحيات المتوازنات أن يكن قادرات على الكلام، والكشف ، وإعادة التنظيم، وكونهن يعملن خارج منزلهن أمر عديم الأهمية. فالأهمية الوحيدة لفضيلة النفس.

ولكن أي الوسائل يمكن للنساء أن يستخدمنها؟ إنني أفكر بالفعاليات ذات الانتشاء الواسع: الإذاعة والصحافة والتلفزيون، حيث لا يزال للإنسانية بعض الكلمات التي ينبغي أن تقولها. وهناك رئاسة البلديات ومجالس الشيوخ والنواب، حيث يمكن للمرأة أن تصنع العجائب.

إن المرأة السليمة الذكية ينبغي أن تكون حصان طروادة الجديد، الذي ينزلق داخل منظمات الذكور، ولكن دون أن تدع نفسها تتشوه بها .ذلك أن هؤلاء النساء ينبغي أن لا يقعن ، وبأي ثمن، في الفخاخ التي جعلت من الرجال مصاصي دماء. فأن يعملن ضد الرجل أمر غير مطروح على بساط البحث إطلاقاً، وإنما ينبغي أن يعملن مع بعض منهم بهدف تجديد العالم الراهن. وملايين الرجال يرغبون في ذلك.

وعلى أولئك الذين، من الرجال، بيدهم مفاتيح هذه الممالك المتجمدة أن يحسوا، ولو إحساساً مبهماً، بقيمة شهادة هؤلاء النساء، وأن يفتحوا لهن الباب.

لا بد من المضي بهدوء. فثمة عدد من النساء والرجال هم من سرعة الانفعال بحيث يترجمون مباشرة جميع المعوقات والمزايا بمصطلحي الدونية أو التفوق. ولكن، أوليست الحاجة إلى السيطرة أو القوة وقفاً على الخائفين؟

ثمة نساء يردن المساواة – أو بالحري: التسوية – وفق نمط الذكر. ولكن لماذا لا يبحثن عن الوصول إلى مستوى الرجال وفق الخصائص الأنثوية؟ فهل يُعزى إلى ذلك العبادة القديمة، عبادة القوة، ذات الصلة بكره جنسهن الخاص؟

أبداً لن يفهم الرجل، الذي لم يُزوّد بالبطن الخلاق، إلى أي مدى تغوص نفس المرأة في الواقع العميق، واقع الأشياء والموجودات. فقوة المرأة ناجمة عن أنها، وحدها، هي القادرة على الإحساس بقوى الحياة.

الفصل الثاني
خدعة الدونية

وتوقفت المعركة نظراً لعدم توافر المقاتلين.

كورنيل

يتساءل كثير من النساء:
-هل صحيح أن المرأة تعاني من دونية طبيعية؟ وهل هي، بصورة طبيعية أقل ذكاء وإبداعية وفاعلية من الرجل؟

كتبت إلي بعض النساء قائلات:
-نادى الناس منذ بداية الأزمنة بدونيتنا. وكثيرات منا مقتنعات بهذا مع ذلك.
ولكن هل تمت البرهنة من الناحية العلمية على نواقصنا؟

أولاً – الدونية المزعومة، دونية المرأة

١-بعض السخافات

-يبحث الناس دائماً عما لا تتصف به المرأة قياساً على الرجل، ولكنهم قلّما يتساءلون عما ينقص الرجل بالقياس إلى المرأة.
-يعبر الناس دائماً عن الإعاقة بالدونية وعن الميزة بالتفوق.
-وإذا تكلموا على "الفروق" بين الرجال والنساء، فإن المرأة مشروطة بالتفكير أنها مختلفة نقصاً، وأن الرجل مختلف زيادة.
-مسألتا الدونية والتفوق مطروحتان على الغالب طرحاً إجمالياً دون أن تؤخذ الظروف بالحسبان.
-قلما يبحث الناس في أي شيء تتصف امرأة بأنها دون ما يمكن أن تكون عليه.

وثمة سخافة سادسة

عندما تصبح إحدى النساء مستقلة، فإن الناس يعدّونه "نافعة" من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية .غير أنه يبدو أنهم ينظرون إلى أن ذلك لا يغير شيئاً فيها. الأمر الذي يعني أن المرأة قد تم تصنيفها تصنيفاً نهائياً: إن قدر المرأة أن تعجب بالرجل، وأن تعمل من أجله، وأن تلد أطفالاً ، الخ. ويستخلص الناس من ذلك أن المسألة هي مسألة أقدارها الطبيعية الوحيدة، دون الأخذ بالحسبان صورة المجتمع الذي تعيش فيه المرأة. فثمة التباس بين المحصول وبين ما يُعبّأ

فيه المحصول.

٢-بالقياس إلى أي شيء تتصف المرأة بأنها أدنى؟

أيهما "المتفوق "المرأة أم الرجل؟ ليس لهذا السؤال معنى، لأن التفوق والدونية يقاسان بمقياس مشترك.
فعندما نفصل والحالة هذه بين الجنسين، كما يحدث ذلك على وجه العموم، يصبح متعذراً كل قاسم مشترك. إن مثلنا في ذلك مثل من يتساءل: "أيهما المتفوق؟ الماء أم النار؟ الذهب أم الفضة؟ الجبل أم الوادي؟"

إننا لا نتساءل أبداً هل المرأة والرجل هما حقاً ما يمكن أن يكونا عليه. أوليست المرأة والرجل، كلاهما، في مستوى أدنى من حيث إمكان تحققهما الخاص؟

هنا إنما تكمن المسألة .فالمرأة المتحققة "أسمى" من رجل مراهق ولو كان عبقرياً، والرجل المكتمل "أسمى" من امرأة طفل. وكذلك فالمرأة الجميلة التافهمة أدنى من امرأة تتصف بأنها امرأة على نحو كلي، والفلاح الذي يحب أرضه أسمى من قائد لا مبال بمهنته، إلخ .

إنني أقترح أن يحل مصطلح "معوق" محل مصطلح "أدنى"، ومصطلح "متميز" محل مصطلح "متفوق". ذلك يتيح لنا أن نرى من خلالهما على نحو أكثر وضوحاً. فالمسألة مسألة قدرات بالطبع، ولكنها أيضاً مسألة تحقيق الذات. وكون الإنسان، امرأة أو رجلاً، لا يدخل في الحساب، كما لا يدخل في الحساب كون الإنسان حاكماً أو محكوماً.

ومن الواضح أننا جميعاً متميزون أو معوقون مائة مرة في اليوم وبحسب الظروف. فعازفة البيانو الشهيرة، على سبيل المثال، معوق بالقياس إلى مغرم بالرضيات في الخامسة عشرة من عمره، إذا اتخذنا الرياضيات معياراً. وينقلب كل شيء إذا أصبح البيانو هو المعيار.

-٣جدول مقارنة

بعض الموازنات بين المرأة والرجل:

أمام ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ **تتصف المرأة بأنها** ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ **يتصف الرجل بأنه**

العالم الحديث ....معوق......................... متميز

الشعور بالدونية ....معوق.......................... متميز

خلق الحياة ....متميزة......................... معوق

الإبداعية الداخلية ....متميزة........................ معوق

الإبداعية الخارجية ......معوق.......................... متميز

النضج السريع........ متميزة...........................معوق

عقدة أوديب......... معوق ....متميز

قوة النفس .... متميزة ....معوق

حَصرَ الحياة ....متميزة ....معوق

حَصرَ الموت........ متميزة ....معوق

العدوانية المهنية ....معوق........................ متميز

الاستقرار داخل مهنة ....معوق ....متميز

حس التدين ....متميزة ....معوق

الذكاء الإجمالي ....متميزة ....معوق

الذكاء المجرد ....معوق ....متميز

الوضوح النافذ......... متميزة ....معوق

الصبر ....متميزة ....معوق

الحس السليم........... متميزة ....معوق

الفهم الإنساني ....متميزة ....معوق

المظهر الاجتماعي ....معوق ....متميز

الوجود العميق ....متميزة ....معوق

الرمزية ....معوق.................. متميز

يعتقد كثير من النساء في أنفسهن أنهن أدنى لمجرد كونهن نساء .ولكن هل هذا إحساس طبيعي أم إحساس ثقافي؟ لن يفكر رجل من الرجال أبداً أنه: "ليس غير رجل". بل يقول على العكس: "أحس في نفسي أنني أدنى لأنني لست رجلاً". أو يقول : "إنني أصبح أنثى ضعيفة خافة."

كانت إحدى الصبايا تقول لي:

-نحن أدنى لا بالكيف بل بالكم. تلك هي طبيعتنا. الإناث في مملكة الحيوان تافهات وخاضعات. ويتقاتل الذكور وتنتظر الإناث بغبطة ليعبدن المنتصر. إن فرويد على حق بالتأكيد.

وقالت لي الصبية ذاتها:

-الإناث تافهات. إن هذا واقع، ولا بد من قبوله ...

٤-أيهما أكثر خوفاً، الرجل أم المرأة؟

أليس الرجل، في نهاية المطاف، هو الذي يعاني الشعور بعدم الأمن والعجز والدونية أكثر من المرأة؟

لنلاحظ أول الأمر:

-أن الرجل يخاف المرأة خوفاً عميقاً) .وسأوضح ذلك فيما بعد دونما عجلة(

-لا يحس الرجل في نفسه أنه متفوق على المرأة: إنه يعاني الحاجة إلى الزعم بأنه متفوق عليها، مع أنه يحس إزاء المرأة بحالة من الخطر وعدم الأمن .

-منذ أن تتفوق إحدى النساء، يتصرف الرجل العادي كما لو أن هوة كانت قد انحفرت تحته. وسترى أنه يتصرف على هذا النحو لا لأنه يخشى أن يفقد رجحانه بالمعنى التقليدي للكلمة، بل لأن المرأة "تقود "الرجل في كل مرة يكون فيها فريسة خشية غريبة خفية.

-يُصاب المرء بالذهول لو لاحظ عدد سلوكات الرجل التي تذكّر، أمام امرأة (وربما زوجة)، بسلوكات صبي صغير أمام أمه .

-بل إنني أعتقد أن المرأة تشعر بأنها "متفوقة" على الرجل. وهذا الشعور يعشعش في مناطق وجدانية منيعة على الرجل بصورة كلية. فالمرأة قبل كل شيء أم (بالفعل أو بالقوة). وعاطفة الأمومة جز من طبيعتها. وهذه العاطفة ليست معنية "بطفلها" على سبيل الحصر، بل هي معنية بالعالم كله. وهذا هو السبب في أن المرأة تميل إلى النظر إلى أفعال الرجال كما تنظر إلى ألعاب أطفالها: بنوع من الريبية، بل التهكم أو بالعطف .

فالرجال انحدروا خلال القرون في سقوط حر :

كانوا <<< فأصبحوا

أقوياء<<< عصبيين

فاعلين <<<هاجين

مِتانا <<<منهكين

خلاقين <<<شهوانيين

صنّاعاً <<<أناساً آليين

فرديين<<< مروّضين اجتماعيا

مستقريين <<<مصابين بالحصر

شخصيين <<<مغفلين

عمالاً <<<أقناناً

ذواتاً <<<خاضعين

كان الرجل فيما مضى على توافق مع الطبيعة والأشياء، ومع عمله وحروبه. وهو في أيامنا هذه يحاول بمشقة وقد تحول إلى رقم أن يتعلق ببدائله الهزيلة، بدائل القوة. وكما كان يقول لي أحد الطلاب السود: "إن الصياد الكبير في العهد الغابر أصبح جرّافاً صغيراً في أيامنا هذه."

وغالبية النساء يرغبن في أن يبزّنّ الرجل. هل هو الثأر؟
كانت إحدى النساء الذكيات تقول لي:
أتمنى لمرة واحدة أن أكون الموجّهة والقائدة الأولى في مهنة وقف بصورة اعتيادية على الرجال. أتمنى أن أُظهر قدرات مساوية لقدراتهم، وأن أبرهنها لنفسي. ثم أستعيد مكاني النسوي، لأنني في الحقيقة قليلة الاكتراث بما يفعله الرجال...

وعلى عكس الرجل الذي يتصف بصورة طبيعية أنه غير مستقرّ، **تتسم المرأة بأنها في منتهى الاستقرار .**

والمرأة تلاحظ الرجل مزوّدة بسلاح فكرها الثاقب المخيف. فكيف لا يجتاحه منذئذ شعور دائم بالدونية؟ ذلك أنه على علم بأنه لا يطابق ما هو عليه، وبأن المرأة تنزع عنه القناع وتَقْدِره بالقيمة الحقيقية، قيمة ماهيته .

يضاف إلى هذا أن كثيراً من النساء يغذّين الشعور بالدونية لدى الرجال، دون أن يقصدن ذلك بصورة شعورية. ويحدث ذلك عندما تبدي إحدى النساء، بصورة ماكرة أو جهاراً، شعوراً بالإعجاب إزاء أحد الرجال:
"أنت قوي وذكي. ومن المثير أن يعمل المرء معك... ولا أستطيع إلا أن استسلم، فأنت على حق دائماً... ويشعر الإنسان بالأمن معك"، الخ .

ويتمسك الرجل بهذه اللعبة. ويجهد نفسه لـــ "يستحق" هذا الاعجاب .ويمثل دوراً، ويعلم أن أي كبوة تثير التهكم أو الهزء لدى المرأة التي تشعر بالسعادة القصوى في أن تأخذ بالثأر (حتى على صورة سلوك أمومي وعطوف على حد قولها، سلوك ليس إلا احتقاراً.(

هذه المرأة تترصّد الرجل. ولكن ليس بدءاً من أيامنا هذه إنما يذهب الناس إلى السيرك أملاً برؤية المروّض تفترسه الوحوش.

والسؤال ذاته يطرح نفسه مجدداً: من يعاني الشعور بالدونية أكثر؟ إن الميزان يشبه ميزان العدالة المثالية: الكفتان متعادلتان. والشعور بالدونية أفضل توزيعاً من الثروات.

وما النتيجة؟ المعركة مستمرة ما دام الناس يمنحون "قيمة أخلاقية "لمزايا كل جنس ولعوائقه.

هذا هو السبب الذي من أجله ،
يا سيدتي ، كانت ابنتك خرساء.
موليير

ثانياً: كيف يتحدد موقع المرأة

١-المرأة تدافع عن نفسها

يخلق الشعور بالدونية:

-الإحساس المؤلم بكون المرء "أقل" من الآخرين.

-الانطباع بأن المرء "تحت" المعيار، مثال ذلك كثير من المراهقات اللواتي يستحوذ عليهن القلق بصورة فعلية، قلق ناشئ من إحساسهن بأنهن لسن كسائر الناس.

-الإحساس بأن المرء ليس على مستوى المهنة التي حدّدها لنفسه أو فرضها المجتمع عليه.
و**أعراضه** الأكثر شيوعاً هي : إحساس خفي بأن المرء يتصرف "كما لو" أنه كان مجرماً، وانطباع المرء بأنه غير جدير بالحياة، وشعور بأنه يكاد يكون غير مقبول من "الآخرين"، الخ.

وتستجيب المرأة للشعور بالدونية:

١-إما بضرب من **التعويض** يمنحها الإحساس بالقوة والتفوق. فتصبح عبارة "إنني أدنى من..." عبارة " عليّ أن أفعل كل شيء لأبدو متفوقة على."...

٢-أو بضرب من **إعلان الحرب المعمّمة** .وتلك هي حال عدد من المراهقات اللواتي، يجترِرن، وهن يعتقدن أنهن غير محبوبات، عداوتهن ضد العالم بأسره، ويبدين غطرسة غريبة.

-٣أو بضرب من **الغيرية المغالية** .وستحاول على الغالب بعض النساء، اللواتي يحكمن على أنفسهن بصورة لا شعورية أنهن غير" جديرات" بالحياة، أن يضحين بأنفسهن. إنهن يهبن أنفسهن لعمل من الأعمال دون أي اهتمام بأنفسهن على الإطلاق، وحتى الموت إذا كان ذلك ضرورياً. ومع ذلك فهن يرغبن في هذا الموت لا شعورياً. ومن المحتمل أن يقلن: "إنني أتحرر من الشعور بالدونية بفناء نفسي في سبيل الآخرين". وذلك إنما هو **عصاب الإخفاق**.

-٤أو **بالكارثة الكلية** .فكثير من النساء، المقتنعات بعجزهن، يغرقن في تشاؤمية حادة. فينتحرن بصورة فعلية. ويسقط اعتبارهن لأنفسهن إلى الصفر. ولما كن عاجزات عن أن يباشرن وحدهن أي شيء مهما كان، فإنهن ينتظرن كل شيء من الرجل الذي يغذين تجاهه عداوة لا شعورية قوية. ويعتقد بعضهن أنهن شياطين، فثمة من ألقى عليهن أذى من السحر .إن المسألة هنا هي مسألة مازوخية معنوية عميقة جداً. وعندئذ يرفضن أن يسندن إلى أنفسهن أدنى النجاح الذي يعزونه إلى ضرب من "المصادفة."

ويلاحظ المرء على وجه الخصوص ردود الفعل هذه لدى نساء كانت لهن علاقات سيئة مع أمهاتهن: مع أم متعسفة وحاضنة، وجافية الطبع، وطالبة، وخائبة، ومتشائمة، ومع أم تفعل كل شيء بدلاً من ابنتها التي تستنتج من ذلك أنها عاجزة، ومع أم تثير ابنتها ضد أبيها، الخ.

-٢أحتج، إذن أنا موجودة

هذه الصورة الأخرى من رد الفعل، **الاحتجاج المذكر**، أبرزها أدلر. فالمسألة بصورة كلاسيكية هي مسألة امرأة تباشر، علانية وبصورة عدوانية، أعمالاً موقوفة على الرجال عادة.

فالمراهقة صارعت ضد أبيها (إنني سأجلد حتى الموت هذا الذكر الصلف والمنيع!) أو ضد أمها (إنني أرفض أن أكون ضحية كأمي. وهذا هو السبب الذي من أجله سأنبذ دوري الأنثوي، وسأحول نفسي إلى صبي.(

ثمة بعض المجالات المعروفة جيداً، التي تظهر فيها هذه "المطالبة" مطالبة المرأة : الألعاب الرياضية العنيفة، وسباق السيارات، والمجالات التقنية، والاستكشافات الشديدة الخطر، إلخ.

ولا بد مع ذلك من ملاحظة أن هؤلاء النساء ينفذن إلى مناطق الذكور، لا بهدف تحقيق الذات بسرور، مثلما يفعل الرجال، بل بإرادة عاتية أن يفعلن أفضل منهم. وقد يعتقد المرء أن عداوتهن المطالبة موجّهة ضد الرجال على سبيل الحصر. ولكن لا شيء من هذا. والدليل على ذلك أنهن يظهرن عدوانيات ومزدريات تجاه المراهقات أيضاً، والنساء "ذوات الأنوثة"، والنساء "المشبعات بعاطفة الأمومة"، والأطفال.

ويمكن القول إن النساء يحاولن، حين يصبحن "مثل" الرجال، أن **يتخلصن من أنوثة تخيفهن** .والحال أن هذه الأنوثة تبقى حاضرة، سواء شئن أم أبين.

فهنّ إذن في تناقض دائم مع أنفسهن، وحياتهن مشحونة على نحو لا شعوري بالحصر والألم .**وذكورتهن ليست واقعية، بل هي وهمية** .فكلما أردن أن يكنّ كالرجال، ابتعدن عن أنوثتهن .إنهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة – والمرأة- يمكن أن تكونا مزيتين.

إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات .ويتعرضن إلى خطر أن يصرن يائسات ودونما هدف، في متاهات الشعور بالدونية.

-٣حرب العصابات

إنه لتكتيك المناوشة، سلاح تفضّله كثير من النسوة .
إن الصبر خاصة من خواص الأنوثة. وإذ تتصف المرأة بأنها ثاقبة الفكر، فإنها ماهرة في" مسّ" النقاط العطوبة لدى الرجل.
وتؤمن حرب العصابات هذه للمرأة إحساساً قوياً بالتفوق. فالمناوشات تندفع من كل مكان: ضروب من التهكم اللاذع، وملاحظات تتسم بالعطف الزائف، ومعاينات فظة. والرجل لا يستطيع، وقد وُضع في حالة من العجز ، إلا أن يرفع الراية البيضاء.

وثمة تكتيك آخر تتحول فيه المرأة إلى أم – دجاجة، تنتبه إلى أي خطر يمكن أن يهدد رفيقها: فالزوجة تقتضي أن يضع زوجها لمجرد زكام بسيط لثاماً على أنفه. مثل هذا السلوك يخفي في العادة ، ضرباً من العدوانية القوية.
ولكن لماذا البحث عن التفوق يا ترى؟ لأن "تضييق نَفَس" الرجل يعني تلاشيه واسترجاعه" إليها" في حرارة بطنها الرطبة، ويعني إيقاعه في الشرك ومنعه من أن يتمتع بأي استقلال وهي من جراء ذلك تحتفظ بمكان الصدارة.

-٤الذهان الهذائي :

أعراضه الأكثر شيوعاً:
-عدم اندماج بالمجتمع، يكاد يكون كلياً وعدوانية.
-حذر متعال إزاء أي شخص، ومن هنا منشأ انعدام الألفة وتعذر التلقائية.
-غطرسة باردة.
-نَزَق حاد تعدّله إجابات سريعة لاذعة.
-أفكار اضطهاد (كل الناس يريدون الشر بي، ولا أحد يحبني ولا أحد يمكن أن يحتملني...
-عناد لا يتزعزع في الآراء التي ترسخ بصورة نهائية.
-الحاجة إلى برج عاجي يوحي بالتعجرف.
-التوحّد بمُثُل عظيمة وأفكار مغالية، ببلد ، برجل شهير، الخ.

ثالثاً – وضع الرجل

١-الحنين إلى الحي

هل يحس الرجال بأنهم أدنى من النساء لأنهم لا يستطيعون أن يلدوا أطفالاً، ولأن أي خليقة حية لا تتشكل في جسمهم؟ ألا يثير هذا "الجفاف" في الإبداع إحساساً بعدم الكمال أو العجز أمام الحياة؟
ليس ثمة في السؤال شيء من العبث. فكل محلل نفسي يعلم أن عدداً كبيراً من الرجال الأسوياء يتألمون، بصورة لا شعورية، من عجزهن عن خلق "ماهو حي". وهذا هو السبب، في أن ثمة هوة بين أساليب الرجل في تصور الموت والحياة وأساليب المرأة.

قال لي كثير من الرجال:
-إننا نعمل، ونكتشف، ونحقق الفتوحات، ونبني. نحن نحاول أن نخلد بأعمالنا أو بأولادنا. ولكن ما فائدة ذلك؟ فنحن نبقى قاحلين، ذلك أن كل هذا يحدث خارجنا.

وإذا أرهفت سمعك، سمعت يومياً ملاحظات من النموذج ذاته:

-كيف حال الطفل؟ قال أحد التقنيين لمخترع.
-لقد حملت أثري الفني في ذاتي خلال سنين! (رسام(
-ليس في اليد حيلة، إن السيارة "مولودة" على هذا النحو (قال صاحب كراج لإصلاحات السيارات إلى زبون كان يشير إلى عيب آلي.(
-فكرتي "رأت النور" أخيراً (كاتب.(
-قاربي؟ ولكنه طفلي! (رجل كان قد اشتغل في بناء قاربه الشراعي الصغير.(

٢-لا يكفي أن "يبني" الرجل

كل موجود إنساني يكابد الحاجة إلى أن يخلّف أثراً. وهذه الإمكانية تتصف بأنها طبيعية لدى المرأة، يبحث عنها الرجل خلال أي شيء. إنه يتمنى أن ينمّي في ذاته شيئاً ما يكون على صورته. بيد أن هذه الأشياء نسخ ميتة دائماً.

ثمة بعض أصحاب الامتياز: إنهم الفنانون الذين يخلّفون آثاراً وجدانية. غير أن هناك جملة الرجال الذي "يبنون"، ويغزون المجهول كيما يعوّضوا عن استحالة الخلق بصورة حقيقية. إنهم بناة المدن العابرة التي تبتلعها الصحارى. والرجال يبيدون الأحياء إذ يغزون. فبأي شيء يضايقهم ذلك؟ يضاقهم أنهم لم يخلقوا حياة، وابتعدوا في الوقت نفسه عن الطبيعة.
وهذا هو السبب الذي من أجله قد تتوقف الحروب لو أن العالم كان تحت سيادة نساء هنّ نساء على نحو كلي.

فكيف يمكن لهن إفناء الحياة وهن يخلقن الحياة؟

خامساً – ما الحل ؟

لكي تتخلص المرأة من هذه الخدعة، خدعة الدونية، يمكن أن نقول ونتمنى:

-أن لا ترعى ضروباً غير موجودة من الدونية أو التفوق، بل أن تبقى منتبهة لعوائقه أو مزاياها.

-أن تعلم إلى أي حد يتصف الرجل بأنه ثلوم بدونها وأعزل.

-إذا كان أساسياً بالنسبة للمرأة أن تكون محبوبة وأن يردّ اعتبارها، فإن ذلك ينبغي أن لا يكون لقاء انتحار داخلي، ولا أن تصبح نصف رجل، ولا أن تردّ إلى امرأة طفل أو إلى جرادة عابرة. وعليها عندئذ أن لا تصغي إلى أحد، أن لا تصغي إلا إلى أصواتها الداخلية.

-أن تبدأ بأن تقول لنفسها إن كل شيء مزيف حتى ولو أخطأت. وأن تأخذ ثانية، ما يطابق ماهيتها.

-أن تعلم أن التسامح غير المستساغ أسوأ أنواع التمييز العنصري.

-أن تنبذ عبارات العالم الراهن التي تبدأ بــ "عليك أن"، لكي لا تصغي إلا إلى عباراتها التي تنسجم مع ما" تقدر عليه". ومن أجل هذا، أن تصل من ذلك إلى أن تقدر نفسها حق قدرها، كبيراً كان أم صغيراً.

-أن تعلم أن أقل عطف فاعل أقوى من ألف معركة ومئة ألف فكرة .فإذا لم يكن ثمة نساء، إلى من سيتضرّع المحارب الجريح؟

-أن تفهم أن اختفاء المرأة يعني زوال العالم.

-أن تفعل كل شيء لتحتفظ بصحوة الشاهد. فالمرء لا يرى وكر النمل إذا أصبح نملة. وكيف للمرأة أن تحتفظ ببذبتها الخاصة وهي سجينة تشارك في صنع الإسمنت الحديث؟

-أن تتمنى أن ينزلق العالم من القوة نحو العقل، ومن الكم نحو الكيف، ومن المظهر نحو الماهية.

-أن ترفض أخيراً أن تستمع إلى أولئك الذين ينادون بإلغاء ما تختلف به عن الرجل، فمثل هذا الإلغاء متعذر من جهة، وهذه الفروق، من جهة أخرى، مزية بالنسبة إليها وثروة بالنسبة إلى العالم في الوقت نفسه. إن عليها، على العكس، أن تجعل هذه الفروق الأساسية أصيلة وتعمقها، وأن ترجع إلى أصل أنوثتها التي تتصف بأنها قوة وذكاء عميق وحكمة ورحمة.

كانت إحدى النساء قد قالت لي: "الرجال يقتل بعضهم بعضاً والنساء ينهشن بعضهن بعضاً."

مليارات من الرجال سادوا مليارات من النساء خلال القرون.
إنه لضرب من إبادة الجنس الوجدانية.
ذلك يعني أن ثمة كثيراً من المجرمين وكثيراً من الضحايا، الأمر الذي يتصف بأنه عبث.

ما الباعث العميق إذن، الذي استطاع أن يغذّي مثل هذا الوضع؟

المرأة قادرة، بفعل خصائصها الأنثوية، على ارتكاب فظاظات شرسة ترعب الرجل الأكثر إثارة للخوف. وهذا هو السبب، على الأرجح، في أن كثيراً من النساء يتبادلن الكره: فمجتمع الغاب يعيش في أعماقهن، دون شفقة ولا رحمة.

على الرجل أن يصنع كل شيء يطمئنه ويحميه، أما المرأة، المتصلة بالأشياء، فإن داخليتها هي من الغنى بحيث لا تحتاج إلى المصطنع. ومن هذه الداخلية الغنية، تستمد المرأة أمنها واطمئنانها.

الفصل الخامس
المجازر وضروب التآخي

لو لم تكن المرأة موجودة لاخترعها الرجل
سيمون دو بوفوار.

١-الرجل المذعور أمام المرأة

كل رجل يخاف المرأة، فهو يعاني رهاباً عميقاً مما تمثّله المرأة بالنسبة إليه. يُقال، في الغالب، إن المرأة دمرت الأسطورة القديمة، أسطورة الأنوثة، حين نالت استقلالها، وإن الرجل الحديث لم يعد ينظر إلى المرأة على أنها موجود مثالي، وحلم بعيد المنال وشيطان حبيب. الخ.

وعلى وجه العموم فالمرأة موضوع نوعين أساسيين من الخوف الذي يحس به الرجل على وجه الخصوص:

-خوف حيواني يتصف بأنه لا شعوري، ولكنه يتجلى بضروب عديدة من السلوك. ويقع هذا الخوف على مستوى النوع. فالرجل لا يخاف "المرأة"، ولكنه يخاف ما ترمز إليه بالنسبة له.

-خوف سيكولوجي: فالمرأة تُخشى لبعض المواقف، كالنظرات وضروب السكوت والكلام. الخ.

٢-هل خوف الرجال خوف شعوري؟

الرجال، على وجه العموم، يدركون على سبيل الحصر أن بعض النساء يذللنهم ويجعلنهم في حرج. فهم يحسون بضرب من "الضيق" المبهم إزاء بعض نظرات النساء، وبعض مواقفهن التهكمية أو المتعالية، والمتغطرسة أو اللامبالية. ويختلف الخوف بحسب عمر المرأة، وجمالها،

وذكائها، ولون شعرها أو عينيها. ويزول الخوف لدى كثير من الرجال إذا كانت المرأة ميّالة إلى الوداعة، بلهاء أو "رفيقة طيبة."

كان أحد الرجال قد قال لي:

-عليّ بالتأكيد أن أخشى النساء. ولكن أي النساء؟ جميعهن على وجه الاحتمال. عندما تقترب مني امرأة، أغيّر موقفي بصورة آلية، وأصبح عدوانياً، أو محتقراً، أو متباهياً، أو فتاناً، أو مرحاً، أو أنيساً. ولكنني أحس بأن جميع ضروب السلوك هذه مزيّفة. إنني لا أستطيع أن أحدّد النساء اللواتي يثرن خوفي على نحو أشد: هل هن الأكثر فتوة؟ الأكثر جمالاً؟ هل هن المثقفات؟ كل ما بوسعي أن أقوله هو أني لا أخشى النساء الطاعنات في السن، فأنا أظل أمامهن طبيعياً . والحقيقة أني أعتقد أن خوفي يبدو أمام النساء اللواتي يتصفن بأنهن فتيّات جداً، جميلات، واللواتي يظهر أنهن حصينات، أو لا مباليات بشخصي. ويبدو خوفي كذلك أمام اللواتي يتسمن بالبرود...

إليكم بعض الارتباطات بين كلمات، ارتباطات صنعها رجال ونساء طلبت إليهم غضّ النظر عن كل سياق اجتماعي، والإجابة على نحو يتصف بأكثر ما يمكن من التلقائية.

الكلمة المقترحة: امرأة

أجابت امرأة عمرها ثلاثون عاماً:

-في أمريكا، تحمل الأعاصير والزوابع والقنابل أسماء نساء .فهل نحن على هذه الدرجة من الخطر والتخريب؟ صحيح أنني لا أحب المرأة وكثيرات منهن يستطعن إنجاز شناعات تجعل شر الرجال يتراجعون. فعندما تصبح متحجرة العاطفة، فإنها إنما حيوان أصابه الغيظ وهي غضبة عمياء.

وأجاب رجل في الأربعين من عمره:

-إنها كل ما لا يتصف بالواقعية على وجه التأكيد. إنها نهمة. إنها الضباب المخدّر، والأرض الزلِقة التي تضم ثقباً كبيراً من الماء.

وأجابت امرأة في الخامسة والعشرين:

-إن المرأة هي من تراقب، ومن تَقْدر الناس، ومن تنسج شركها، ومن تفترس.

وأجاب رجل في الخامسة والعشرين:

-فراغ، فراغ. إن النساء يجذبنني كالماء، كالهوة. خوف . رغبة. مخنوق. محتقَر حتى القدمين. بستان فسيح، ذو نور ذهبي، سر غامض. طيبة هن أم شناعة، لست اعلم.

وأجابت امرأة في الثانية والأربعين:

-نعم.. نحن عجيبات.. قادرات على أعظم التضحيات وأشد ضروب الدمار... النساء يكرهن الحرب. ولكن لماذا هن أول من يصيح عندما يمر الجنود الظافرون في عرضهم العسكري؟ فيكف يفهمنا الناس؟

وكانت إجابة امرأة في الثامنة والعشرين:

-الرجال يقتل بعضهم بعضاً، أما النساء، إياهن، فينهش بعضهن بعضاً.

وأجابت امرأة عمرها واحد وعشرون عاماً:

-نحن نَقْدر بعضنا بعضاً بالدقة، ونطلق كلاماً مسموماً. وذلك ما لا يشجعني على أن أكون امرأة.

رجل في الثانية والعشرين:

-أُصاب بالذعر عندما تكون خطيبتي ساخطة، إنها تجعلني أفكر بالإعصار.

رجل في السادسة والثلاثين:

-حذر . سر غامض. ريبة .وأظافرهن كأنها المخالب! تزييف . حاجة إليهن. حنان.

رجل في الخامسة والعشرين:

-حلم بعيد المنال. شَرَك وراحة، تناقض في ذاتي. تدفق الحياة والحب تدفقاً بطيئاً. قوة عمياء. إنهن يتقدمن ببطء ويبتلعن. أحتفظ بابتعادي عنهن .خطر. سعادة سامية.

رجل في الثامنة والأربعين:

-قادرات على كل شيء. إنني أقود ثلاثمائة رجل، ولكني أخاف سكرتيراتي. غير محتملات . خطر.

ماذا ينجم عن هذه الارتباطات؟ إنها جميعها متشابهة. إنها الكلمات نفسها والصور ذاتها والاحساسات عينها. ولكن من اليسير أن يلاحظ المرء أن المرأة محسوسة على نحو إما مغال في الإيجابية وإما مغال في السلبية. ويصعد الميزان أو يهبط بطريقة مبالغ فيها بوضوح .

ولكن نستطيع أن نأخذ بالحسبان أن المرأة تثير في وقت واحد:

-الحذر والخطر

-البعيد المنال والحلم الفردوسي.

-٣كيف نسلك؟

ولكي نفرز الميدان سنفحص كلاً بدوره:

أولا – الإحساسات السلبية

- ١كيف يحس الرجل بالمرأة

لنطرح أول الأمر بعض الأسئلة:

-لماذا كانت المسبّة، "امرأة قذرة"، شتيمة بالغة، سواء نطق بها رجل أم نطق بها امرأة؟ ولماذا لا تنطوي إهانة "ذكر قذر" على المظهر ذاته من الرعب، وإن أثارت ظلاً من الوحشية الراشحة؟

-لماذا تبدو امرأة سكرانة أكثر انحطاطاً من رجل سكران لا يثير بالرغم من هيئته المهملة غير ضرب من السخط المسلّي؟

أيضاً بعض الارتباطات بين الكلمات، الإجابات التي تقدمها النساء يرمز لها ب (ن) وإجابات الرجال (ر:)

الكلمة المقترحة :أنثى

(ر)

تسحق

تملك وتنبذ

تحيل إلى العبودية

وجبة

أخطبوط

ممزّق

رعب

فظاظة

هلامية

غضب أبيض

تلاطم أمواج البحر

عينان نصف مفتوحتين وشعر طويل

عنكبوت

قبر

موت

ثلج

نظرة دون رحمة

مستنقع

تورط

عاصفة

صمت غير شهي

استطاعة خفية

(ن)

مجتمع الغاب

تباً لها

افتراس

كلا، شكراً!

مفترَس

شريرة

رجل في السابعة والثلاثين:

-هذه الكلمة تذكّرني بقول مأثور كوري: "يولد الرجل من المرأة كما يولد الملح من الماء. فعندما يقترب منها، تمتصه ثانية، كما يحدث للملح في الماء ."

ثمة ما يدفع المرء إلى الابتعاد!

امرأة في الأربعين:

-ليس ثمة أشنع من امرأتين تتقاتلان، جاهزتان لأن تمزق إحداهما الأخرى.

ويلاحظ المرء مع ذلك فرقاً: فإن النساء أبدت النفور، فإن إجابات الرجال لتكشف عن الحَصر على وجه الخصوص.

ما الموضوعات لدى الرجال؟

العداوة القلة ومشتقاتها :تسحق ، تستعبد، رعب ، نظرة دون رحمة، الخ.

الخطر) لا الخطر العنيف ، بل الخطر الذي يهدد بصمت): شريعة الغاب، عنكبوت ، ساكنة، صمت غير شهي . الخ

القسوة) قسوة غير واضحة ولكن لا يمكن مراقبتها) افتراس، هياج، غضب أبيض، مفترس، تلاطم الأمواج، الخ.

الموت) موت غير عنيف وواضح، ولكنه ضبابي، صامت ، يغلّف): شريعة الغاب، قبر، مستنقع، تورط، ابتلاع، الخ.

لنحاول تلخيص إحساسات نوع الذكور:

لازمة نوع الذكور تتم في زمنين رئيسين: قبل أن أولد، ذلك كان الرعب الكارثي، رعب العدم. وبعد موتي، سأنغمر في هذا العدم ذاته. ولهذا السبب:

أعاني الرهاب من كل ما يذكّرني بعدمي الأصلي:

-كوني كنت مادة لا متمايزة (في امرأة(
-كوني كنت جنيناً) في امرأة(
-بطن المرأة، الذي يذكرني بما كنت عليه.

أعاني الرهاب مما ينذرني بعدمي في المستقبل:

-الموت
-المرأة التي تتصف بصورة آلية بأنها المنذرة بعدمي في المستقبل.

أعاني الرهاب من كل ما يرمز إلى العدم:

-ما يتصف بالبرود والظلام والسكون
-ما هو صامت وسر غامض ومجهول
-اللاشعور
-المرأة التي بطنها ، مغارة مظلمة ورطبة وسر غامض، يذكّرني بسرعة العطب التي يتصف بها قدري الخاص
-بعض ضروب السلوك لدى النساء ومواقفهن ونظراتهن، هؤلاء اللواتي ينبئنني بضرب من المهانة والصغار وانتقاص القيمة ووضع موضع الشك والتهام شخصيتي.

مواقف الذكور ذات المظهر السلبي

)هدفها سحق المرأة(

احتقار

اذلال

تجاهل بكبرياء

هجوم

سيطرة بقسوة

تهكم

جعلها مضحكة

تعنيف

تعداد الزوجات (أولئك الذين يملكون عدداً كبيراً من الزوجات يبحثون ، في الواقع، عن جعلهن قذرات، ونبذهن كأنهن أشياء لا قيمة لها.

مواقف الذكور ذات المظهر الإيجابي

)هدفها ملاطفة المرأة(

إغواء

اتخاذ مواقف الصبي المحبوب (كالمواقف إزاء أم مرهوبة الجانب(

تدليل ومديح وتملق، وتسليم برأيها، وإذعان

نيل إعجابها بجميع الوسائل الممكنة

ظهور بمظهر المرح (بديل موقف الاحتقار (

اتصاف باللطف الساحر ، وتوقع أقل رغبة من رغباتها، وزقّها بالثناء والهدايا والحلي والثروة.

المرأة الشيء

لنذكّر بالقانون العام

يبدو الخوف لدى الذكر منذ أن تكون المرأة ذاتاً حرة. ويزول الخوف لدى الذكر منذ أن تصبح المرأة شيئاً مستعبداً.

والحيلة اللاشعورية بسيطة: لا بد من أن تستحيل المرأة إلى شيء. وبعبارة أخرى" :**كوني أجمل شيء في العالم، متزيّن وشبعان. فستبقين هادئة، ولن أشعر بأي خوف منك."**

كيف يتحقق إشباع المرأة؟ الصناعة زاخرة باللإمكانات: "أشياء عملية مسلية"، وحلي زهيدة القيمة، وأدوات الزينة، وأجهزة منزلية كهربائية. والتصرف مع المرأة شبيه بمناورات

المستعمرين الغابرين مع المتوحشين. فالعقود والأساور الزجاجية وبعض الهدايا الأخرى كانت تزيل مفعول الهجوم المعاكس. وكان البدائيون وقد فعل التملق والملاطفة والابتسامات فعلها فيهم يفتحون الطريق إلى أعدائهم الجدد.

وصناعتا الحلي والأزياء قدمت نتاجاً رائعاً. ولم يسبق للمرأة أن كانت إلى هذا الحد من الزينة، وإرضاء الرغبات والإشباع .وهي من الناحية الرمزية، "مثقلة" بالزينة التي تتغير باستمرار حسب مشيئة الزي .ويُقال حقاً إن ثمة محاولة لإرغامها على العودة إلى حالة "الأنثى" المصابة بالعطالة، والساكنة، والمشغولة بنفسها قبل كل شيء. فثمة استعباد لها عن طريق النرجسية.

كان أحد الرجال قد قال لي مشيراً إلى امرأة صبية تساير آخر ما أنتجته دور الأزياء:

" -إنهن" على هذا النحو مسرورات ويتركننا "نحن "بسلام.

ويمكن للمرء أن يتساءل هل كان بعض مصممي الأزياء من الرجال يشعرون بضرب من الكره القوي واللاشعوري إزاء النساء، لكي يحيلوهن إلى دمى مطيعة، وبالتالي إلى أشياء غير مؤذية.

-٦الخوف السيكولوجي إزاء المرأة

ما هي المواقف لدى المرأة، التي تثير "الخوف الكبير" خوف الرجل؟ ذلك أن عدد الرجال النشيطين والأذكياء والمحترمين من الناحية المهنية أو المرهوبي الجانب، الذي يصبحون ثانية صبياناً صغاراً أمام نسائهم منذ دخولهم المنزل، مرتفع جداً. و"حرجهم" واضح، وأمام شاهد على وجه الخصوص. فهم يحسون بصمت زوجاتهم وكأنه محقّق. ويتراجعون أمام حرد ول كان غير مؤذ. وثمة مجموعات من الذكور يرتجفون أمام أضعف نظرة عدائية من طرف نسائهن. هذا إذا لم يتصرفوا تصرف الأطفال الودودين، أو لم يغالوا بكيل الثناء المدلّه. وأحياناً تتبدل اللوحة، ويصبح الرجل متبجحاً ومهذاراً ومدعي الشجاعة. ولكن هؤلاء الرجال عاجزون دائماً عن أن يكونوا "عفويين" في حضور غالبية النساء، بما فيهن زوجاتهن.

-عندما تصمت امرأتي، أشعر بأنها تنتظرني على المنعطف...

-لا أعرف أين أندسّ ، عندما تنظر إلي بصورة تهكمية...

هي ذا بعض مواقف المرأة التي يخشاها الرجل على وجه الخصوص:

نظرة المرأة

السابرة الغور

الباردة

المتكبرة

الصاعقة

اللامبالية

المحتقرة

النافذة

المتعالية

المثيرة

الغاضبة

الغامضة

المتهكمة

صمت المرأة

الحَرِد

المتسم بالشك

الغاضب (غضب ثائر وغضب صامت(

المهدد

المتهكم

كلام المرأة

الغضب العنيف المتفجر

القصد المبطن الذي ينتقص من القدر

الهجوم المغلّف باللطف

الاستهزاء

النقد الملح

الكلمة المحتقرة

ثانياً : الإحساسات الإيجابية

الكلمة المقترحة: امرأة

تجلّ، هدوء، وعاء، حرارة عذبة.

عديمة الشكل، بركة، بزوغ، مقدسة.

راحة فائقة الوصف، إنبات، معجزة.

نبع مخصب، مظلة، أبدية ، وعاء نور.

ملاك، بياض، قاعدة الطيبة.

عذراء السماء، ينبوع الفتوة.

ثلاثة موضوعات يمكن استخلاصها:

الموت والبعث

الأم
تمجيد المرأة

التباين واضح جداً بين الاحساسات السلبية والاحساسات الإيجابية . ولكن لماذا هذا الانقلاب في الوضع المغالي بالإيجابية؟ ولماذا هذا التمجيد؟ وهل ثمة رجل واحد يعتقد اعتقاداً عميقاً بما يقوله؟ أو هل يحاول أن يقع نفسه به؟

يقول الرجل لنفسه بصورة لا شعورية:

"إنني أخاف المرأة. وعليّ أن أجد الدواعي القوية حتى لا أعود إلى الخوف منها. ولهذا السبب أحولها إلى موجود رائع أبيض، كالثلج وأحوّل ظلامها إلى نور. وأقنع نفسي بذلك وأمجدها بأغاني وقصائدي. وفضلاً عن ذلك لماذا أخاف من موجود جميل إلى هذا الحد، ومريح للنظر بهذا المقدار، ولا غنى عنه لاستمرار الحياة؟

هل ثمة بداية حل؟

من المؤكد أن أي أخوة صحيحة بين الجنسين لن تكون ما بقي الذكر يخشى الأنثى، ومادامت هذه الخشية الصماء تثير ضروباً مزيفة من السلوك (الايجابي والسلبي). ولن يقبل الذكر "أن تصعد المرأة إلى مستواه" مادام خائفاً. ولا يمكن أن نغالي في تكرار القول إن المسألة ليست على الإطلاق مسألة حاجة سطحية إلى التفوق.

على الرجل أن يغيّر ويكتشف جذوره وروابطه بالأرض والمادة، وبالحياة والموت وعندئذ، على سبيل الحصر، يتوقف خوفه من العدم وخوفه من المرأة في الوقت نفسه.
وعلى النساء أن لا ينادين بالنصر: إن عليهن، هنّ أيضاً، أن يغيّرن الاتجاه، وإلا استمرت الأنوثات الطفولية أو العدوانية في تغذية حصر الذكر وعدائه.

ودور الأمهات المتوازنات سيكون ذا أهمية عظيمة جداً. ذلك أن الأم هي الأولى التي تنشئ

صورة المرأة التي يحملها الذكر معه طيلة حياته.
وهذا هو السبب الذي من أجله أيضاً لا بد لنا من معرفة رموز المرأة .والواقع أن الرموز تتغلب على العقل لأنها تدوين الإحساسات اللاشعورية.

الفصل السادس
رموز المرأة

الماء والمرأة ليس لهما الصفاء ذاته

رمز الماء

الماء هو رمز المرأة الذي يتصف بأنه أكثر كلاسيكية، وأكثر لصوقاً، وأكثر واقعية على الغالب.
فثمة خصاص أنثوية عديدة، إيجابية أو سلبية، تجعل المرء يفكر مباشرة بالماء.

الكلمة المقترحة: الماء

أجابت سكرتيرة في الثامنة والعشرين:
الماء؟ آه .. إنه أنا في أسعد أيامي! أنا، مرنة، أنا، أتكيف جيداً، سيّالة وطيبة. الماء سيّال ونسوي.

والماء نسوي على نحو رائع. ينساب على الأرض.

الرمز الإيجابي والرمز السلبي

الرمز السلبي والاتجاهات السلبية

الماء .... الاتجاهات السلبية

محسوس به على نحو سلبي .... لدى بعض النساء

-ينساب ويتسلل في أصغر الشقوق. ...... يُسلّلن بمهارة كلاماً وأفعالاً، ويسربّن "السم" بصورة ماكرة) المقصود : افتراءات(

-يحفر الحجارة القاسية ببطء وصبر. ..... يتغلبن على جميع العقبات بصبرهن المزعج، ويقوّضن طاقة أولئك الذين يقاومونهن.

-يشكّل جيوباً تحت الأرض بصورة غير مرئية. .... يتصرفن على نحو خفي، ومراء، وغير مرئي.

-يحاصر ويحيط ويغلّف. .... يمارسن حرب الغوار. وينتهين إلى محاصرة الآخر والإحاطة به، قبل أن يضربن في النقطة الضعيفة.

-يغرق بالاختناق ويجذب في دوّاماته. .... يخنقن شخصية الآخر، و (يمتصصن) أطفالهن إذ يمنعهن من النمو .ويلتهمن من الناحية الوجدانية.

-ساحر في سطحه، ويظل يثير القلق في الأعماق.... .يفتنّ الرجال لكي يجذبنهم على أحسن وجه إلى الدمار والإفلاس.

-سر غريب لا يبدي غير سطح يدعو إلى الاطمئنان. .... إنهن مهدّدات بصورة كامنة، و"مياه راقدة"، ونرجسيات تحت قناع من العذوبة. إنهن أحياناً كالمستنقعات التي تمتص فريستها ببطء (زوجها وأولادها) تحت مظهر من الانقياد والحياد الظاهرين.

-يجمع قوته قبل أن يتدفق. ...... يراكمن الضغائن ومشروعات الثأر بصورة صامتة حتى ينفجر الغضب الأعمى الذي لا رحمة فيه.

الرمز الإيجابي والاتجاهات الإيجابية

الماء .... الاتجاهات الايجابية

محسوس به على نحو إيجابي. .... لبعض النساء.

-استطاعة كامنة مستقرة ومرنة. .... لا يمكن إنجاز شيء يتصف بالدوام دون دعم الأنوثة، المرنة والتي تتلاءم مع الظروف. حدسهن وحسهن السليم يقودان أعمال الرجال ويصلحانها.

-يزكي ويخصب. .... إنهن ملهمات بحضورهن وحده، ويصبحن ينبوع الحياة الداخلية.

-يتصف بأنه وثّاب بصورة مرحة وعفوي. .... يستقبلن بعفوية أصلية، ويدفعن إلى العمل بمرح. إنهن وسيطات ، وعطوفات، وفهيمات.

-يغسل ويطهر. .... فهمهن الأمومي يطهّر من الخجل. وبوسعهن إجراء بعث وجداني حقيقي. ويبعن الحياة في أعمال الرجال التي أصابها الجفاف.

ثالثاً – رمز الجبل

الرمز السلبي والاتجاهات السلبية

الجبل .... الاتجاهات السلبية

محسوس به على نحو سلبي .... لبعض النساء

-ساكن ومهدد قبل الانهيار .... سكونهن وصبرهن ينبئان بانفجار الغضب.

-يبدو منيعاً وبعيداً. ولا بد من قهره واستعباده وغزوه وجعله حيادياً. ... متكبرات، يتحدين الرجال الذين يستجيبون بالبحث عن استعبادهن، وقهرهن، وردهن إلى وضع السبية أو الشيء.

-الصمت الأبيض بعد الانهيار .... يحطن الغير ويغلفنه بصورة ماكرة إلى حد اختناق شخصيته.

الرمز الإيجابي والاتجاهات الإيجابية

الجبل .... الاتجاهات الإيجابية

محسوس به على نحو إيجابي .... لبعض النساء

-الصمت الأبيض بعد الانهيار. .... الأم والمرأة، الرائعتان والهادئتان، تحميان راحة الرجال.

رابعاً – رمز الأرض

الرمز السلبي والاتجاهات السلبية

الأرض .... إحساسات سلبية

محسوس بها على نحو سلبي .... إزاء بعض النساء

-تتضمن العفونة التي تهيء حمل الطبيعة وولادتها مجدداً. .... الفوضى الدامية للبطن التي تعدّ الحمل والولادة.

-إنها بلا زرع ولا حصاد. .... "العانسات"

-تزمجر بصورة خفية قبل الهزة الأرضية .... .يبدو أن النساء يزمجرن داخلياً قبل الانفجار المدمر.

-القبر .... أعماق بطن المرأة الذي يسود فيه الموت قبل الحمل والذي ينذر، بالموت في المستقبل.

-المغاور الرطبة. .... بطن المرأة الذي يذكر بالعدم الرطب قبل الولادة.

-الأرض التي تنشقّ. .... النساء اللواتي "يبتلعن "أقاربهن.

الرمز الإيجابي والاتجاهات الإيجابية

الأرض ..... الاحساسات الإيجابية

محسوس بها على نحو إيجابي .... إزاء بعض النساء

-القبر .... الأم الخالدة التي تنغلق إلى الأبد على الموجودات التي تعود إلى الكل الكبير.

-البلاد التي يولد فيها المرء، والتي إليها يعود دائماً بفكره أو بالفعل. الوطن الأم ....

المرأة والأم "وطنا الرجل"، إليهما يعود بعد المعارك، معارك الحياة. عذوبة الأسرة، والبيت، "محور" شخصية الرجل.

الفصل الثامن

الأنوثة والذكورة

(١ = ٢)

الكل في الكل ، قال الفيلسوف.

ورد الكاتب الهزلي ، والعكس بالعكس

الهرمونات الأنثوية تهيء سلفاً لـــ:

الثبات

السلبية

قابلية الاستقبال

الحمل

الماهية

الهرمونات الذكرية تهيء سلفاً لـــ:

التقلقل

الفاعلية

المحاكمة، المنطق

الترحال

التعبير الخارجي عن الذات

المظهر

إذا كانت النساء غير قادرات على أن يشغلن غير العمود الأيمن، والرجال غير العمود الأيسر . فالرجال والنساء ، الأضداد بصورة كلية، متناقضون نهائياً، ومتخثرون، كل في النوع الذي ينتمي إليه، وقائلون للتفاهم المتبادل: إلى الوداع بصورة نهائية.
والحال أن الحياة اليومية تبين لنا أن لكل من الرجال والنساء موقعاً في كل من العمودين .فالذكر المحض معدوم كالأنثى الصرف.
والذكر المحض سيكون ضرباً من الغول المتفجر، على نحو مستمر، بضروب العدوانية والنزو والغضب، وموجوداً في منتهى الرعونة، لا يتصرف إلا بالهجوم واللدغ.
والأنثى الصرف ستكون يرقة هائلة ولا متمايزة، وآلة تكاثر، كملكة نمل.
فلكي يصبح الذكر رجلاً والأنى امرأة، لا بد إذن من أن يتصف كل منهما "بشيء من الآخر".
والحال أننا نعلم منذ زمن بعيد أن كلاً منهما يحمل في ذاته بعض خصائص (وبعض هرمونات) "الجنس الآخر". وهنا إنما تبدأ الصعوبة. ذلك أن التحديدات تتعثر بتخطيطات جاهزة.

ها هي ذي امرأة فاترة . يقال إنها "أنثوية جداً". إنه اليست كذلك إطلاقاً. فهي فاترة ، والأنوثة شيء مختلف كل الاختلاف.

وها هو ذا رجل يتصرف تصرف "الصبي اللطيف"، لين العريكة، وفاتن ، وذو حركات متموجة. يُقال عنه إنه أنثوي. إنه ليس كذلك على الإطلاق. فهو "صبي لطيف"، ولين العريكة ، وفاتن. ولكن الأنوثة شيء يختلف كل الاختلاف.

وها هي ذي امرأة عدوانية بإفراط، قادرة على المنافسة. ويقال إنها تسلك سلوك الذكر. إنها ليست كذلك أبداً. بل هي عدوانية بإفراط، قادرة على المنافسة. والذكورة شيء يختلف كل الاختلاف.

وهاهي ذي امرأة ذات نزوة، وبنت صغيرة. يقال إنها أنثوية بطريقة ساحرة. فهي ليست كذلك مطلقاً. إنها ذات نزوة وبنت صغيرة. والأنوة في جهة أخرى.

ماذا يريدون بقولهم عندما يؤكدون أن امرأة معينة تتصرف تصرف الأنثى أو تصرف الذكر؟ و"الأنوثة" بالنسبة إلى الغالبية من الناس، ضرب من الضعف، والامحاء والعاطفية المخنوقة، والطاعة الضاربة إلى الوداعة . إنها شيء يتصف باللطف ولكن من الأجدر أن لا يكون لك منه شيء، تحت طائلة إصابة الشخصية بالأنيميا العامة. فليس من المدهش إذن أن يرفض الرجال رفضاً صريحاً أن يكون فيهم شيء من الأنوثة، وأن يحسب النساء أن أنوثتهن تحكم عليهن أن يعشن في المؤخرة، حكماً نهائياً.

فإذا كان الناس يخلطون بين الأنوثة والضعف، فذلك لأن غالبية الأنوثات تالفة بشناعة، وضامرة. وإذا كان الناس يخلطون بين الذكورة والعدوانية، فذلك لأن غالبية الذكورة مشوهة.

فلا بد من أن نختار إضاءة جديدة وأن نهمل بعض التصورات المتحجرة التي ما فتئت تزيد كثافة الحاجز الذي يفصل بين الرجال والنساء، ويفصل بين المرأة ونفسها.

الحياة الداخلية ذات الحالة الجيدة تكون احتياطي الطاقة، الذي لولاه لما كان ممكناً أي تحقيق للذات.

الجنسية الثنائية:

برزت هذه الحقيقة من الظل في ثقافتنا منذ زمن قليل، وعلى صورة علمية هذه المرة. وقد أوضحها فرويد ويونغ إيضاحاً جيداً .فالأول يؤكد أن الموجود الإنساني ثنائي الجنسية. ويقول الثاني إن في الرجل جزءاً من الأنوثة وفي المرأة جزء من الذكورة . وبالاختصار، إن ذلك حقيقة

لا غنى عنها كالخبز :كل رجل ذكر وأنثى معاً، وكل امرأة أنثى وذكر معاً.

إن الأنوثة والذكورة سلوكان ، واتجاهان ، وأسلوبان في التصرف إزاد الظروف.
ولكي نفهم ونطبق ما تعنيه هذه العبارة لا بد لنا من أن نفكر في أنفسنا ثانية بمصطلحات الطاقة.

لدى كل موجود إنساني كمية معينة من الطاقة. وينبغي عليه أن يسوسها ويستخدمها كما يفعل ذلك مع رأس مال مالي. ورأس المال هذا سيخلق التوازن أو عدم التوازن والعطالة أو الفاعلية، والصحة أو المرض، وتحقيق الشخصية أو تشوهها، وفقاً لكونه استخدم استخداماً جيداً أو رديئاً، وأدير إدارة حسنة أو سيئة وجمع أو شتت.

والتربية للأسف ليست ، إذا صح القول، قائمة أبداً على كيفية استخدام طاقتنا، وإنما هي قائمة على السفساف من الأخلاق، والأخلاق القبلية. فبدلاً من النظر إلى "الآلة الإنسانية" أول الأمر، ثم إلى سلوكها، يحدث العكس. ويُقتضى أن تعمل الآلة على نحو أو على آخر قبل معرفة هل كان ذلك بمقدورها، أو هل كانت مصنوعة لصورة أخرى من استخدام الطاقة. ثم إن العجز، عندما تبقى الطاقة "موقوفة" لدى الشخصية، يعاقب عليه أخلاقياً. إن تربيتنا ترتكز على أوامر يمكن أن ترتد إلى " يجب عليك "!ولكن الطاقة تجيب: "إذا كان باستطاعتي"!

الطاقة ليس لها جنس

الطاقة، من الناحية التقليدية، من ماهية الذكر، والحال أن ذلك خطأ بصورة مطلقة. ومع هذا فإن كل شيء يجعلنا مستمرين في هذا الاعتقاد.
كل هذا غير معقول. فالطاقة هي ما هي عليه: ليس لها جنس.
والنتيجة ليس لها مع ذلك أي أهمية. ذلك أن الطاقة التي لدينا شيء، وطريقتنا في استخدامها شيء آخر..

ويمكن القول، بصورة عامة، إن ثمة اتجاهين إزاء الطاقة:
الاتجاه الأول: أن نحتجز الطاقة فينا.
الاتجاه الثاني: أن نحرر الطاقة خارجنا.

كيف تستخدم المرأة طاقتها في كل ظرف من ظروف حياتها؟ هل تستخدمها بطريقة مناسبة؟ أفي غير محلها؟ بطريقة غير معقولة؟
لماذا ملايين النساء، اللواتي يملكن طاقة تتيح لهن إبداعية فكرية عظيمة، يجمدنها في الداخل، دون أن ينتقلن أبداً إلى تحقيق هذه الأفكار؟ ما السد بين الطاقة الداخلية وبين التعبير عنها في الخارج؟ وما منشأ هذا السد؟

من الجوهري أن نفهم جيداً أن الأنوثة والذكورة مصطلحان ليس لهما علاقة، على الإطلاق، بكون الموجود الإنساني رجلاً أو امرأة .

السلبية والفاعلية

يقال : الأنوثة = سلبية
والذكورة = فاعلية

ولكن الناس لا يميزون بين **السلبية والعطالة** في أذهانهم. وذلك إنما هو الخطأ الأساسي المرتكب منذ زمن طويل. وعندما يقال أن المرأة مهيأة سلفاً للسلبية بفعل هرموناتها الأنثوية، فثمة ترجمة فورية تتم في أدمغتهم الإنسانية: المرأة مهيأة سلفاً للعطالة. الأمر الذي يتصف بأنه خاطئ كل الخطأ.

السلبية الحقيقية حالة من الراحة والانتظار، ومن التوتر التدريجي المتناغم، حيث يجمع الموجود طاقاته بغية القيام بحركة من الحركات ، بغية وضع هذه الطاقة موضوع الفاعلية.

وعلى هذا النحو إذن:

السلبية = شحن الطاقة، أو الطاقة الكامنة
الفاعلية = تفريغ الطاقة ، أو الطاقة الحركية

القطبان

ويمكن أن نرسم على هذا النحو تخطيطية لما سبق:

القطب المؤنث (الأنوثة) /// القطب المذكر (الذكورة(
يشتمل فينا على كل ما هو /// يشتمل فينا على كل ما هو

-في حالة من الاسترخاء، ومن الراحة /// - في حالة الحركة
-ساكن وفي حال من الانتظار /// فاعل وفي حال من بذل الفاعلية
-بالقوة /// بالفعل
-يجمّع الطاقة الكامنة /// يفرّغ من الطاقة المجموعة
-يعدّ لعمل خارجي معين /// يتصرف خارجياً على نحو معين

إن رجحان أحد هذين الاتجاهين هو الذي يجعل منا ذوي صفات نسوية أو ذكرية إزاء الظروف.

الاتجاه الأول

يقوم (كالقوس) على:
-أن يجمع الطاقة ويحتفظ بها في ذاته ويخزنها ، الأمر الذي يستلزم:
-١أن يكون في حالة الانتظار، والراحة والسكون.
-٢أن لا يتسرع، وأن يراقب ويتأمل وأن يكون في حال من التنصت لإحساساته وعوطفه وحدوسه.
-٣أن يجمّع إحساساته وعواطفه وحدوسه ومعلوماته التي تدخل بفضل هذه الاستقبالية.

هذا الاتجاه ينتمي إلى القطب المؤنث.

ونقول بعبارة أخرى: إننا إزاء اتجاه من اتجاهات الأنوثة، ولكنه غير ذي صلة، بحصر المعنى، بالمفهوم المألوف لـــ الأنوثة.

الاتجاه الثاني

ويشمل هذا الاتجاه (شأنه شأن السهم) على:
-تحرير الطاقة المجموعة وصرفها. الأمر الذي يستلزم:
-١الوجود في حال من الحركة، حركة الجسم أو حركة الفكر.
-٢المحاكمة والترف الخارجي، وتنفيذ قرار اتضح خلال الاتجاه الأول، وتنفيذ عمل تجمع إلهامه خلال الاتجاه الأول.

هذا الاتجاه ينتمي إلى القطب المذكر.

ونقول بعبارة أخرى: أننا إزاء اتجاه من اتجاهات الذكورة ولكنه غير ذي صلة بحصر المعنى بالمفهوم المألوف لـــ الذكورة.

بعض الأمثلة:

هذان الاتجاهان ، هذا القطبان، هاتان الطريقتان في استخدام الطاقة، موجودتان في الطبيعة برمتها.

هو ذا حيوان مفترس
إنه في حالة توقف. جميع عضلاته تتوتر تدريجياً. إنه يعد عمله. إنه لا يجمع الطاقة العضوية فحسب، بل يجمع كذلك آلافاً من المعلومات (سرعة الريح واتجاهه، واقتراب فريسته، وحساب القفزة التي عليه انجازها، وتقدير المسافة الخ) هذا الحيوان المفترس "موصول" بقطبه المؤنث، واتجاهه اتجاه يتصف بصفات المؤنث. وهو سلبي أيضاً، بالمعنى الذي حدّدناه فيما سبق
يقفز الحيوان. فالطاقة المجموعة تتحول إلى حركة. إنه، في هذه اللحظة،" موصول" بقطبه المذكر واتجاهه اتجاه مذكر.

يمكن للمرأة إذن ، شأنها شأن كل كائن حي، أن تتبنى اتجاهين أمام الظروف:

-الاحتفاظ (تجميع) بالطاقة. وسيكون اتجاهها هذا اتجاه الأنوثة.
-تحرير (تفريغ (الطاقة. وسيكون اتجاهها هذا اتجاه الذكورة.

وهذان الاتجاهان مشوهان على الغالب لدى المرأة. فالأنوثة غير متميزة عن الضعف والتبعية والخضوع، الخ. أما فيما يخص ذكورتها، فإنها لا تعرف ماذا تفعل بها، هذا إذا لم تستخدمها استخداماً سيئاً جداً.

دور الأنوثة والذكورة

الأنوثة:

لا يمكن لامرأة أن يكون لديها ذكورة ذات نوع جيد إذا كانت أنوثتها تالفة. شأنها في ذلك شأن فنان يتعذر عليه أن يعبر في الخارج عن عمل فني ذي شأن إذا كان إلهامه فقيراً.
بل يمكن القول أن الذكورة ليست مبدعة على الإطلاق .ذلك أن كل إبداعية تحدث في داخل الشخصية: وإذن في دائرة القطب المؤنث.
وعندما يبدع خارجياً رجل أو امرأة، فإنهما لا يفعلان سوى استخدام إبداعيتهما الداخليتين.

الذكورة

إنها شيء زهيد في حد ذاتها. فهي لا تفعل سوى أنها تستخدم الطاقة المتجمعة مسبقاً.
والذكورة لا تفعل سوى التصنيع، سواء كان الأمر بصدد عمل فني رائع أم عمل فني هزيل.
فليست الذكورة متصفة بالعبقرية على الإطلاق. إنها مجرد العامل المنفذ للأنوثة (أو للحياة الداخلية.(
والذكورة تمثل المرحلة النهائية والصورة الأخيرة .إنها هي التمثال الذي ينبعث من الصلصال.

ولهذا السبب، تتصف أيضاً بأنها الأمن الذي يطمح إليه النساء والرجال.

لنصحح

من الضروري أن نضع موضع التساؤل ، وأن نصحح بعض الأفكار التي تلقيناها (والخاطئة جداً) والتي تفصل الرجال والنساء إلى معسكرين متميزين كيراً جداً.

يقال :المرأة حدسية، والرجل منطقي.
ينبغي القول :الأنوثة، أيا كان الجنس، حدسية، لأنها تحس بالأشياء على نحو لا متمايز. والأنوثة تلتقط جملةً، من خلال الإحساسات . والذكورة منطقية، لأنها تصطفي الإحساسات التي نتلقاها، ثم تلجأ إلى المحاكمة منتقلة من نقطة إلى أخرى بصورة شعورية.

يقال :المرأة تستشعر، والرجل يحاكم.
ينبغي القول :الأنوثة تستشعر، والذكورة تحاكم، وذلك أمر صحيح بالنسبة إلى كل موجود إنساني، أيا كان جنسه.

يقال :المرأة تنظر إلى الحياة بصورة تختلف عن الرجل.
ينبغي القول :الأنوثة مستقرة وساكنة. وهي شبيهة بالماء العميق .إنها تكوّن حياتنا الداخلية كلها. وتحس بالحياة كما هي، بطريقة مشخصة، مباشرة وعملية ودون مواربة. والذكورة، التي تتصف بأنها في حركة غير مستقرة كسهم، تشعر بالحاجة إلى أن تجهز نظريات وضروباً من الأخلاق، تستخدمها صوى لتعلم طريقها، وأمناً حتى لا تسقط ثانية في الفوضى. وبما أن الأنوثة لدى المرأة أكثر اتساعاً، فمن المؤكد أنها تحس بالحياة على نحو يختلف عن الرجل.

يقال :المرأة تحسن التمثيل أكثر من الرجلن أو هي أكثر مراءاة من الرجل.
وينبغي القول :الأنوثة، أياً كان جنس الموجود الإنساني، لا متمايزة، شأنها شأن رمزها الماء، الذي يمكن أن يتخذ شكل أي وعاء دون أن يكف عن أن يكون ذاته. ويمكن للأنوثة بوصفها مرنة

وسيالة أن تتكيف مع أي ظرف.
أما الذكورة فإنها على العكس خارجية ومتحركة وهي بالإضافة إلى ذلك، تمثل صورة مكتملة أقل تكيفاً وأكثر تصلباً ودون مرونة.

يقال :الرجال لن يفهموا النساء أبداً (أليس من المستغرب أن الناس قلما يؤكدون العكس؟(
وينبغي أن يقال : لا يمكن فهم الأنوثة بصورة عقلانية، إذ أنها لا متمايزة، وبالتالي لا عقلانية. وليس بالإمكان سوى أن تستشعرها من خلال الإحساس والحدس، ولكن لا من خلال العقل والمنطق أبداً. ولن يستشعر الرجل امرأة على الإطلاق ما دام لم يحقق أنوثته الخاصة. كذلك فإن المرأة لا يمكنها أن تفهم ذكورة الرجل ما دامت لم تنجز ذكورتها الخاصة. وذلك يثير صعوبة من الصعوبات .ذلك أن النساء السويات (أنوثتهن وذكورتهن سويتان) يفهمن بصعوبة معظم الرجال الحديثين الذين ينهمكون في الصراع من أجل أفكار مجردة، أكثر مما ينهمكون في الصراع من أجل وقائع إنسانية ومشخّصة.

الفصل الثاني عشر
من هي.. ؟

لو طلب إلي أحدهم: "عرّف المرأة، وتكلم عليها وأنت تحكم ترتيب الكلمات" ، لأجبت:

-هل يمكن أن نشرح عالماً منحنياً بواسطة المستقيم؟ أو أن نحتفظ بالماء في أيدينا كيما نعطيه شكلاً؟ وهل يمكن الإحاطة بإحساسات الحياة، والإحساسات الواسعة التي تتصف المرأة بأنها المؤتمن عليها، بفعل طبيعتها ذاتها؟ ذلك أن من المتعذر أن نحصر المرأة في قوانين دقيقة، مثلما أننا لا نعرّف الدائرة بالمربع. فالمرأة شبيهة بمحيط الدائرة الذي تحسبه بواسطة القطر: ثمة دائماً كسر عشري يفوتك، إلى ما لا نهاية.

وأقول أيضاً:

-المؤنث في المرأة لا متمايز، ولا صورة له. إنه يُجمل، ويحيط ، ويتكيّف. إنه صبر. إنه يلاحظ، ويهتز ، ويلتقط، ويصغي، ويتلقى رسائل الأشياء. إنه وضوح، ونفاذ بصيرة، وفطانة.

المرأة بحاجة إلى النظام في جميع الأمور: في الأفكار، وفي الطبيعة، وفي الناس، وفي إدارة المنزل. وهي قادرة على أن تصبر طوال قرون، دون أن تنبس بكلمة .ولكن لا شيء يفوتها. إنها تستشعر ما هو صحيح وعادل. وتصمت وتبتسم أمام حذلقة الرجال .

أولاً – المرأة والعاطفة الشخصية

-١النساء لا يبالين بالمجردات

يبدو لنا، إذا أغينا إلى الرجال العاديين، أنهم يجعلون حياتهم تدور حول ما قد تسميه النساء "الكلمات العظيمة": الشرف، والواجب، والعمل، والأخلاق، والمنطق، والعقل، إلخ.
وبالاختصار، يجعل الرجال العاديون حياتهم تدور حول سلسلة من المجردات. وهكذا ينظر العديد من الرجال إلى الوجود على أنه منصبّ في ضرب من القالب العام، المفروض من الخارج. ثم يحاولون أن يمتلوا له امتثالاً ليس بالجيد ولا بالسيء. بل إنهم يمتثلون في أغلب الأحيان امتثالاً أكثر سوءاً مما هو جيد، ذلك أن المرء يمكن أن يكون على يقين بأن أي رجل يتكلم على الشرف والواجب، فيقول "شرفي، و "واجبي"، يحتفظ في رأسه بالعمومية المقنّنة.

ولن تستخدم أي امرأة على الإطلاق هذه التعبيرات العامة، الجاهزة، التي تتصف بأنها، بالنسبة إليها ، فارغة من المعنى.
وتنظر المرأة مندهشة إلى الرجال الذين يستخدمون هذه الكلمات اللاشخصية، والمثلّجة بالتالي.

وهي على العكس قريبة من الأشياء والواقع، لأنها هي هذا الواقع .
ولهذا السبب كانت المرأة شخصية أكثر من الرجل . إنها تقول: عملي أنا، بيتي أنا، وواجبي أنا، ومنطقي أنا، في حين يقول الرجل: "الوطن ."وهو عاجز على الاغلب، عن أن يوظّف في هذه الكلمة أي قيمة وجدانية. فيحاول عندئذ أن يحيطها بالعاطفية، والطبول والأبواق. ولكن "الوطن"

يبقى بالنسبة إليه فكرة.
وستقول المرأة: "وطني أنا" . والمقصود بالنسبة إليها أسرة ينبغي المحافظة عليها.

-٢كيف ترى المرأة العالم؟

الرجل يرى العالم، على الغالب، جملة وببرود، ودون أن تتدخل عواطفه الشخصية. وتلك هي السياسة المجردة واللاشخصية.
المرأة ترى العالم، على الغالب، على أنه مجموعة من الأسر ، هي صديقتها أو على خلاف معها، تحبها أو لا تحبها. إنها سياسة العاطفة الشخصية.

ولا يعني هذا أن المرأة لا تبالي بأمور العالم، بل إنها لا "تتعاطى" الأحاديث العظيمة التي يسقطها الرجل في أغلب الأحيان على المستقبل.

قالت إحدى النساء لي:
نحن ، معشر النساء، نبحث دائماً عن الماهية خلف المظاهر.

هنا إنما نجد الهوة الكبيرة التي تفصل بين الجنسين .فالرجل يتوحّد بما يصنع، لا بما هو عليه، والمرأة تقتضي أن يكون الرجل ما هو عليه.

المرأة جماعية وشيوعية. ولكن بمعنى أنها تتمنى لو تحول العالم برمته إلى أسرة. والمرأة محافظة: إنها يمينية بعمق، لأنها حافظت على جذورها.

وجذر هذه المواقف موجود في الطفولة:
فالصبي نزاع بطبيعته ذاتها إلى أن يهجر أسرته وأن يهرب منها لا بفعل الميل إلى الاكتشاف فحسب بل لأن هذه الأسرة تذكره بعدمه الأصيل كذلك.
أما البنت فإنها نزّاعة ولو أنها مولعة بالحرية، أن تبقى في الجو الأسري، أو أن تعود إليه: مكان مغلق ودافئ، أضيفت عليه الداخلية. فالمرأة على هذا النحو تنتمي إلى الجماعة.

ولا تبدي المرأة أي حماسة لأن تحترف السياسة، لأنها تتصف بأنها سياسية ، أي حذرة، أمومية،

تدير كل الأمور بوصفها أم أسرة.

٣-المرأة والعدالة

والأمر ذاته يتعلق بـــ العدالة. فليس بعيداً على الرجل أن يتوحد بالقانون. إنه يطلب رأس مجرم من المجرمين باسم العدالة. ولن تقول ذلك امرأة أبداً، ولن تفكر فيه.

والمرأة أولاً ، تضع كل شيء بالجمع: القضاة، والقوانين، واللوائح، ولا تفعل كما يفعل الرجل: القانون واللائحة. إنها هنا أيضاً بحاجة إلى أن تضفي الصفة الإنسانية على المجردات.

وبوسع أحد الرجال أن يدافع مخلصاً دون أن يدرس موكّله، في حين أن إحدى النساء السويات تكون عاجزة عن تطبيق عدالة ما دون أن تعرف الوجه الإنساني لمن هو موضوع الاتهام، لأنها ترفض اللاشخصية في الكلمات والأفكار.

٤-المرأة والعمل

قالت لي إحدى النساء:

-إنني مندهشة من أن أرى صديقات لي حزن على الشهادات، ولديهن إمكانية العمل الحر، الموجب للاهتمام، ينكفئن في بيوتهن بعد زمن معين من الاهتمامات الخارجية. فهل وقعن في شرك الزي القديم. زي المرأة في المنزل؟

ويبدو لي أن السؤال لا يكمن هنا .فإذا أحست امرأة أن عملها عمل غير شخصي، ومجرد ، فرّت في أول مناسبة تسنح لها. وحتى المرأة التي تجاوزت نزعتها الغريزية، فلا تخرج من ذاتها، ولا من بيتها ، بحاجة إلى أن تضفي الصفة الشخصية على حياتها.

والمرأة تفصل بين شخصها وبين شغلها. وهي بحاجة إلى أن تعمل مع أناس تحبهم، لأن هذا الشغل يتحول، إلى جمعية أسرية. ويصبح المشروع بيتها، والمكتب غرفة الجلوس لديها .

ثانياً – المرأة والزمن

-١هاجس المباشر

يتشتت الرجل على الغالب، نحو مستقبل مجرد يريد أن يغزوه في حين أن المرأة تجمع طاقاتها في سبيل ما هو مفيد بصورة مباشرة. ويمكننا أن نتخيل حواراً – حوار الطرشان على الغالب – بين الجنسين.

الرجل

-علينا أن نتوقع المستقبل، ولو أن لا يزال حلماً. وأياً كان الثمن، سنحقق فكرتنا في يوم بعيد من الأيام. وعلينا أن نمضي دائماً إلى ما هو أبعد، وأعلى.

المرأة:

-إنكم تعدون لمستقبل فرضي، في حين أن كثيراً من الناس يتعفّنون حالياً في الفوضى، والتعاسة، والحرب، والجوع.

الرجل:

-الغد هو وحده المهم. والتوظيفات إلى أجل، تلك التي تتصف بالمجازفة هي وحدها التي تعنينا نحن نفكر بالانسانية، ولكن الوجوه التي تتصف بأن سمتها الوحيدة أنها إنسانية تبقى في الظل.

المرأة:

-الآن إنما هو المهم. ينبغي ، أول الأمر، تنظيم البيت الإنساني. ربما كان القمر لا يزال نظيفاً، ولكن الأرض ليست كذلك. وأسرة الموجودات الإنسانية في فوضى، وفي عدم انسجام. وعليه، فإن المشخص المباشر هو المهم أولاً. والمعمورة بالنسبة إلينا، أسرة تتألف من وجوه واقعية. وهي بالنسبة إليكم، ليست غير فكرة.

الرجل لا يتصرف من أجل الحاضر. يُسقط أفكاره على المستقبل. يريد الانفلات من الحاضر.

المرأة تتصرف من أجل الحاضر. لا تنظر إلى المستقبل إلا عندما يكون الحاضر منظماً. تعيش بقوة في الحاضر.

ب ــ الصبر

المرأة هي الزمن إذن.

والصبر، شقيق الزمن، يصبح مالوفاً بالنسبة إليها.

قالت لي بعض النساء.

-الصبر؟ إنه لدينا من الكثرة بحيث يمكننا التعسف في استعماله دون أن يكون ذلك مطعناً كبيراً لنا.

-الصبر هو لا نهايتنا.

-حملي عدة مرات علمني الصبر.

-قرون من الصبر مضت علينا، مع ذلك!

-نحن نملك جميع ضروب الصبر: ضروب صبر الحب وصبر الكره.

-كانت والدتي مسحوقة طوال حياتها ، ونفذ برها حتى الرمق.

صحيح أن صبر امرأة يمكن أن يكون لا نهائياً في الحب، والأمل، والرعاية التي تمنحها، والغفران الذي تنعم به، والأعمال التي تباشرها. ولكنه لا نهائي أيضاً في الحقد الذي تعاقب به، في بعض الأحيان، شخصاً من الأشخاص.

ثالثاً – المرأة وحاجتها إلى النظام

-١حرب الجوارب

-إنه يترك جواربه ملقاة في كل مكان! فهل يحسبني خادمة عليها أن تفعل كل شيء؟

هؤلاء النساء يندفعن إلى الحرب ولكن العدو غير موجود حيث يعتقدن أنه موجود.

هذه الحرب حرب عريقة في القدم ومحتومة وأبدية. فهل باليد حيلة؟

فإذا كان الرجل نزاعاً بطبيعته نحو المستقبل، نسي الآن. وهذا أمر منطقي. وإذا فكر في المستقبل نسي أن يرتب جواربه.

والرجل مشتت وفوضوي. ولكن المرأة هي النظام. وترعبها الفوضى والأشياء التي يتأخر إنجازها. ولهذا السبب لا تميز عمل الرجل من ماهيته. ولا ترى غير الجوارب التي تستخف بها جهاراً.

وهكذا اعتمد عدد من المتحزبات لحقوق المرأة على الجوارب، وعلى وقائع من هذا النمط، ليباشروا حرباً، حرب المئة عام، دون أن يفهموا **أن المرأة متجهة نحو الحاضر، والرجل نزاع إلى المستقبل**.

٢-تبديل المنزل والحالة الاكتئابية

أن تقع في الاكتئاب امرأة بعد تبديل المنزل، أمر كثير الحدوث . إنها تدعي التعب، وهذا صحيح في بعض الحالات. ولكن هذا الاكتئاب العارض يحدث لأنها تائهة. وأعني بذلك أنها لا تفلح في أن تجد وجهتها في المشخص من حياتها .ذلك أن تبديل المنزل قطيعة مع نظام مغال في التشخيص. والعالم بالنسبة لهؤلاء النساء، عالمهن، إنما هو النافذة إلى اليمين، والكوب إلى الشمال، والملعقة في جزء معين... الخ فأن تدخل حالة اكتئابية أمر يمكن فهمه عندئذ لأنه كان عليهن أن يخرجن من عالم شديد الانغلاق مغال في التنظيم حول البيت ، بيتهن، وحول انطوائيتهن واستقرارهن المغاليين.